اصداء جامع قرطبة على عمارة مصر الاسلامية

أ.د/ كمال عنانى إسماعيل•

أهمية الجامع قرطبة:

حظى جامع قرطبة بشهرة عالمية بين الآثار الإسلامية، ونال خلال القرون الثلاثة الأولى من عمر دولة الإسلام المكانة الأولى من بين المنشآت التى أقيمت فى عصر الدولة الأموية فى الأندلس، فقد رصد أخباره المؤرخون العرب، وتغنى بأوصافه الشعراء والأدباء بل أن بعض المؤرخين والجغرافيين العرب خصصوا فصولا كاملة عن وصفه وتاريخه[١]. الذى ينطق بتاريخ وعز ومجد دولة بنى أمية فى الأندلس بأسرها، ولا يزال اسم هذا الجامع يتردد حتى الآن على السنة الأسبان، ومازالت صورته تزين المنتجات السياحية حتى أصبح يمثل باسمه وصورته فن العمارة الإسلامية فى الأندلس، ومن هنا كان ولا يزال جامع قرطبة موضوعا للعديد من الدراسات التاريخية والحضارية والأثرية .

• أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية – بقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

(١) عن أوصاف جامع قرطبة وتاريخه وأهميته راجع على سبيل المثال .
الإدريسى (الشريف محمد بن عبدالعزيز): وصف المسجد الجامع بقرطبة من كتاب نزهة المشتاق – نشر الفريد ديسيه لأمار مع الترجمة الفرنسية – الجزائر – ١٩٤٩ ولنفس المؤلف راجع صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق –نشر المكتبة الثقافية الدينية ببورسعيد بدون تاريخ ص٥٧٥ – ٥٧٩. وكذلك ابن عذارى (أبو عبدالله محمد المراكشى) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب – نشر الاستاذان ليفى بروفنسال وج.س . كولان – الطبعة الثالثة – بيروت – دار صادر ١٩٨٣، جـــــــــــ٢ ، ص٢٢٩-٢٣١، ص٢٣٣-٢٣٤، ص٢٣٦ن ص٢٣٨ – ص٢٤٠، ص٢٤١، ص٢٥٠ وراجع كذلك المقرى (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب – تحقيق إحسان عباس بيـــــروت– ١٩٦٨ م، المجلـــــد الأول – ص٥١٩ – ٥٢٠، ص٥٤٥– ٥٥٦، ص٥٨– ٥٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتتجلى القيمة الأثرية لهذا الجامع فى أنه أكبر مسجد قائم فى الإسلام وثالث المساجد الكبرى مساحة بعد مسجدى سامراء وأبى دلف اللذين اندثرا[٢].

كما أنه أكثر المساجد أهمية معمارية وزخرفية حيث يضم فى عناصره أصول الفن الأموى طوال قرنين ونصف من الزمان، وأول من شيد الجامع القائم حاليا هو عبد الرحمن بن معاوية(الداخل)

(١٣٨-١٧٢هـ- ٧٥٦- ٧٨٨م) الذى شرع فى تشييده عام ١٦٩ هـ/ ٧٨٥م، وانتهى من بنائه فى عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦ [٣] وكان عدد بلاطانه تسع تمتد عمودية على جدار القبلة[٤].

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل تعرض الجامع لثلاث زيادات رئيسية تخللها الكثير من أعمال الإصلاحات والتجديدات الثانوية فى العهود المختلفة لحكام بنى أميه وذلك على النحو التالى:

الزيادة الأولى (زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط):

بدأت هذه الزيادة فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢١٦هـ/٢٣٨هـ) ٨٢٢هـ-٨٥٢م حيث أضاف إلى بيت الصلاة بلاطتين جانبيتين واحدة فى الجهة الشرقية والأخرى في الجهة الغربية فبلغت بلاطات بيت الصلاة أحد عشر بلاطه[٥]، وبعد ذلك بنحو ست عشرة سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) تمت

---

(٢) أحمد فكرى – المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١، نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩، ص٢٤٢- ٢٤٤

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق – جـ٢ ، ص٢٢٩، حيث الإشارة (وكان شروع عبد الرحمن الداخل فى هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩هـ وتم بناؤه وكملت بلاطاته واشتملت أسواره فى سنة ١٧٠هـ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس نشر مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ١٩٨٥، ص١٦٢.

(٥) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف القرطبى) : كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس – قطعة خاصة بعهد الحكم المستنصر، نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجى، ص٢٤٣، حيث الإشارة لتلك الزيادة فيما نقله ابن حيان عن الرازى (وزاد الأمير بن الحكم فى المسجد الجامع بقرطبة أول الزائدين فيه من خلفاء بنى مروان – الزيادة الأولى، الظاهرة من قبلته للداخل إليه، البارزة من بين البنيه الأولى التى ابتناها أبو جده عبد الرحمن بن معاوية الأمير الأول الداخل على الأندلس .. وقد كانت أبهاء المسجد الأقدم تسعه أبهاء زاد عليها عبد الرحمن بهوين من كل جانبيه، فكملها أحد عشر بهواً، كذلك راجع ابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص٨٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرحلة الثانية من زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط وفيها هدم جدار القبلة[٦].

وبعد هذه الزيادة شرع الأمير عبد الرحمن الأوسط فى زخرفة الجامع الجديد لكنه توفي قبل أن يتم أعمال التجديد والزخرفة بالجامع فأتمها أبنه الأمير محمد (٢٣٨هـ. ٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) فى سنة٢٤١هـ/٨٥٥م، وأضاف إلى المسجد مقصورة بجوار المحراب سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤[٧].

وفى عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣هـ-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) تم ترميم وتجديد زخارف المسجد واصلح سقائفه وادخل عليه بيت المال [٨] ثم أقام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢) ساباط أوصل به ما بين القصر من جهة الغرب ثم أمر (بستارة من أخر هذا الساباط إلى أن أوصلها بالمحراب، وفتح بابا كان يخرج منه إلى الصلاة وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بنى أمية) وفقا لرواية ابن عذارى [٩] وفى عام ٣٤٠ هـ/ ٩٥١م أمر الخلفية عبد الرحمن الناصر ببناء مئذنة جديدة للمسجد [١٠] حلت محل مئذنة الأمير هشام التى تصدعت[١١].

الزيادة الثانية: (زيادة الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠-٣٦٦هـ).

أجريت هذه الزيادة على عهد الخليفة الحكم المستنصر بعد ولاتيه بعام سنة ٣٥١هـ/٩٦١ م واستغرقت نحو أربع سنوات كاملة حتى عام ٣٥٥هـ/٩٦٥ م. وذلك بأن هدم جدار القبلة وزاد من مساحة بيت الصلاة طولا فيما بين جدار القبلة والصحن أى أن بيت الصلاة اتسع فى اتجاه

---

(٦) بلغ طول هذه الزيادة ٥٠ خمسون ذراعا وعرضها ١٥٠ مائة وخمسون ذراعا وعدد سواريها ٨٠ ثمانون سارية، ابن حيان : المصدر السابق، ص٢٤٦، وكذلك راجع ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٢ ، ص٢٣٠

(٧) ابن عذارى : المصدر السابق، جـ٢، ص٩٥.

(٨) نفس المصدر ص٩٨.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ص٢٣٠.

(١٠) نفس المصدر ص٢٣٠.

(١١) نفس المصدر ص٢٢٨، حيث الإشارة (وكان الناصر أمر ببناء الصومعة العظيمة فى سنة ٣٤٠ هـ، وشرع فى بنائها وهى الشهيرة التى لا صومعة تقدمها، وكان الذى دعاه بنائها .. وجدت فى القديمة فهدمت إلى قواعدها وبنيت بصخر الحجارة المنقولة إليها على العجل، ولمزيد من التفاصيل عن هذه المئذنة راجع الإدريسى :نزهة المشتاق فى اختراق الافاق جـ٢، ص٥٧٨، ٥٧٩، كذلك راجع المقرى – المصدر السابق – المجلد الأول ص٥٤٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجنوب بإضافة إعداد جديدة إلى صفوف الأعمدة التى تؤلف الأحد عشر بلاطاً التى كان عليها المسجد فى زيادته الأولى على عهد عبد الرحمن الأوسط وجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد فى المسجد على حد تعبير ابن عذارى(١٢).

- الزيادة الثالثة(زيادة المنصور محمد بن أبى عامر ٣٧١هـ-٣٩٣هـ-٩٨١-١٠٠٢م)

هى أكبر الزيادات على جامع قرطبة وآخرها ففى سنة ٣٧٧ه- ٩٨٧م، شرع المصور محمد بن أبى عامر الذى نسبت إليه الدولة فأصبحت تسمى بالعامرية (٣٧١هـ -٣٩٣هـ -٩٨١-١٠٠٢م) بدلا من المروانية فى توسيع بيت الصلاة لأول مرة من الجهة الشرقية (١٣) فأضاف إليه ثمان بلاطات فأصبح يتألف من تسع عشرة بلاطة (١٤).

تلك هى أهم الزيادات التى تعرض لها جامع قرطبة(١٥)، والتى اقتضى موضوع البحث الإشارة إليها دون الدخول فى تفاصيلها والخوض فى مشكلاتها الأكاديمية التى يحتاج كل منها إلى بحث طويل فى أصلها وتطورها . فعلى الرغم من كثرة الدراسات الحديثة التى تناولت جامع قرطبة بالبحث من جوانب عديدة تاريخية وأثارية(١٦)، إلا أن هناك نقاط لا

---

(١٢) ابن حيان : المصدر السابق ص٢٤٥، حيث الإشارة (ومد عبد الرحمن زيادته هذه طولا من موقف حد المسجد إلى ناحية القبلة) وكذلك راجع ابن عذارى : المصدر السابق – جـ٢، ص٢٣٤، حيث الإشارة (واحضر لها الأشياخ المهندسين فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد إلى آخر الفضاء مادا بالطول لأحد عشر بلاطا، وكان طول هذه الزيادة من الشمال إلى الجنوب خمسة وتسعين ذراعا وعرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع سواء).

(١٣) ابن عذارى : المصدر السابق – جـ٢، ص٢٣٤حيث الإشارة (فشرع المنصور فى الزيادة الشرقية حيث يتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربى بقصر الخلافة فبدأ ابن أبى عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد من أول المسجد إلى آخره) .

(١٤) المقرى: المصدر السابق – المجلد الأول – ص٥٤٧ حيث الإشارة (وكان عدد باطلاته أحد عشر بلاطاً، عرض أوسطه سته عشر ذراعا وعرض كل واحد من اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربعة عشر ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية أحد عشر ذراعا وزاد ابن ابى عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة أذرع) وكذلك راجع أحمد فكرى : المرجع السابق ص ٢٤٤- ٢٤٧

(١٥) شكل ١

(١٦) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس (دراسة وتاريخية عمرانية أثرية فى العصر الإسلامى . مؤسسة شباب الجامعة – إسكندرية ١٩٧٠م=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تزال بحاجة إلى مزيد من التحليل، ويأتى على رأس هذه النقاط . أثر جامع قرطبة على عمارة مصر الإسلامية والذى يعد سجلاً معمارياً لتاريخ العلاقات الحضارية بين مصر والأندلس فهذا الأثر يوضح مدى التغلغل الذى أصابته التأثيرات الأندلسية فى عمارة مصر الإسلامية وإلى أى مدى أمكن لتلك التأثيرات أن تنصهر فى بوتقه فنون العمارة المصرية لتصبح بمرور الزمن أحدى العناصر الأساسية للعمارة الإسلامية فى مصر.

وقد ساعد على نقل التأثيرات الأندلسية إلى مصر عوامل عديدة سياسية واقتصادية وحضارية لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها ويمكن القول بأن هذه التأثيرات قد بدأت تتوافد على مصر منذ أواخر القرن ٣هـ/٩م وبداية القرن ٤هـ/١٠م عند رحل إلى الإسكندرية عدد من ثوار ربض قرطبة الذين نفاصم الأمير الحكم بن هشام من الأندلس.

وفى عصر الدولة الطولونية المعاصرة للدولة الأموية فى الأندلس أنتقل العديد من علماء الأندلس إلى مصر وسمح لهم أحمد بن طولون بالإقامة فى جامعه المعروف بجامع أحمد بن طولون بل وأجرى عليهم الأرزاق شهرياً وعندما تمكن الفاطميين من فتح مصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م واستقروا بها أقاموا العديد من المنشآت التى تجلي فيها الأثر المغربى الأندلسي[١٧] .

وفى العصريين الأيوبى[١٨] والمملوكى تلقت العمارة المصرية فيضا من التأثيرات المغربية الأندلسية نتيجة توافد أعداد هائله من جموع الأندلسيين

=ص٢٦٩ ومابعدها أما الدراسات الأجنبية فكثيرة منها دراسات لامبير :(تاريخ المسجد الجامع بقرطبة فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين فى حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر جـ٢، ١٩٣٦٠ بالفرنسية) والمسجد الجامع بقرطبة والفن البيزنطى، باريس ١٩٥١ (بالفرنسية)، ومارسيه : العمارة الإسلامية فى المغرب والأندلس باريس ١٩٥٤ م "بالفرنسية، وتوريس بلباس: المسجد الجامع بقرطبة وآثار مدينة الزهراء – مدريد ١٩٥٤ بالإسبانية، وسوف أشير إلى المزيد من تلك الدراسات فى ثنايا البحث

(١٧) ابن جبير (محمد بن أحمد): رحله ابن جبير – بريوت ١٩٨١ – ص٢٥ .

(١٨) لمزيد من التفاصيل عن العلاقات المغربية الأندلسية مع مصر راجع:

–سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور : مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – مجلد (٦) ١٩٥٨ .

–السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامي – إسكندرية ١٩٦١ =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى مصر من العلماء وطلاب العلم وعرفاء البناء والتجار والسفراء على أثر تشعب العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية التى وصلت إلى قمة ازدهارها فى عصر دولة المماليك.

ولما كانت العمارة أحد سجلات العلاقات بين الدول فإن جامع قرطبة الذي يمثل مدرسة فن العمارة الأندلسية يبرز بعضا من التأثيرات التى مارستها فنون العمارة الأندلسية على عمارة مصر الإسلامية والتى من أهمها.

أولا : فكرة تعدد القباب وأسلوب توزيعها على بلاطتى المحراب

حافظ بناة جامع قرطبة منذ الشروع فى تشييده على عهد عبد الرحمن الداخل فى سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م إلى أن اتخذ شكله النهائى عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م فى عهد المنصور بن ابى عامر على طراز المسجد ذى الصحن المركزى المكشوف التى تحيط به الأروقة الممتدة عمودية على جدار القبلة(١٩). ولذا فقد ارتبطت وسائل التغطية فى هذا المسجد بنظام

=–ولنفس المؤلف بالاشتراك مع أ.د. مختار العبادي راجع: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس – إسكندرية ١٩٨٥

–محمد عبدالله عنان: العلائق الدبلوماسية بين القاهرة والمماليك الأسبانية النصرانية فى العصر المملوكى (مقال ضمن الندوة الدولية لتاريخ القاهرة – جـ٣– دار الكتب – القاهرة ١٩٧١) .

–حسين مؤنس : سفارة بدرو مارتير دى أنجلاريا سفير الملكين الكاثوليكين إلى السلطان الغورى.

–أحمد الطوخي : مصر والأندلس – ١٩٨٨ .

–سحر عبد العزيز سالم: علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وبعد سقوطها – المؤتمر العالمى الخامس – للدراسات الموريسكيه – جـ٢– تونس ١٩٩٣.

–محمد عبد المنعم الجمل: معالم تاريخ مصر الإسلامية من الفتح حتى نهاية العصر المملوكى – دار المعرفة الجامعية – إسكندرية .

(١٩) يعرف هذا الطراز باسم الطراز النبوى أو الطراز العربى التقليدى المتمثل فى المسجد النبوى لأول بالمدينة المنورة فى مرحلته ألأولى زمن الرسول τ والخلفاء الراشدين أو مرحلته بعد أن اكتمل فى أيام الأمويين وصار النموذج الذى اقتدت به عمارة المساجد فى معظم الأقطار الإسلامية، لمزيد من التفاصيل راجع على سبيل المثال، فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر فى عصر الولاة – المجلد الأول – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – ١٩٧٠م ص٦٥– ٧٧، حسن باشا : اثر عمارة عثمان بن عفان فى المسجد الحرام فى تخطيط المساجد وفى العمارة الإسلامية (ضمن دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية : الكتاب الثالث – الجزيرة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين) جـ٢ الرياض م ص٢٣٩ ومابعدها، محمد حمزة إسماعيل الحداد – المجمل فى الآثار والحضارة الإسلامية – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ٢٠٠٤م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تخطيطه الذى لم يعرف الأواوين المقبية[٢٠] حيث استخدمت أسقف خشبية

=ص٤٩٨-٤٩٩، اما عن نظام اتجاه الأروقة أو البلاطات التى تسير عمودية على جدار القبلة فقد نقله بناه جامع قرطبة عن النظام التخطيطى للجامع الأقصى الذى أعاد الوليد بن عبد الملك بناءه فى سنة ٧٨هـ/ ٧٠٦ م والذى كان يتألف من عشرة بلاطات عمودية على جدار القبلة وقيل أنه كان يتألف من خمس عشرة بلاطة . وهو الرقم الذى أورده الأستاذ لامبير وأخذ به الدكتور السيد عبد العزيز سالم مؤكدا أنه كان يمثل العدد الفعلى لبلاطات الجامع فى عهد الخليفة المهدى العباسى ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ج١ ص٣٥٩

L.Ambert (Elie) : Les Mosque dse type Andalaus en Espange et en Afrique du Nord , Al Andalaus Vol, XIV 1944 p.277

أحمد فكرى: المرجع السابق ، ص ٢١٣، وقد صار تخطط جامع قرطبة المتأثر بالجامع الأقصى والقائم على نظام الأروقة العمودية على جدار القبلة هو النموذج الذى نسج على منوالة فى كل مساجد الأندلس تقريبا بما فى ذلك ظاهرة اتساع وارتفاع البلاط الأوسط النابعة من أصول إسلامية شرقية حيث صممت على أساسه عدد من المساجد المشرقية مثل جامع دمشق وحلب والرصافة والأقصى وسامراء والحاكم بأمر الله، ويبدو أن هذا الطابع قد نقل إلى بلاد الأندلس من المغرب حيث يرجع أقدم أمثلته الباقية فى المغرب إلى زيادة بشر بن صفوان بمسجد القيروان ١٠٥/٧٢٣م

Torres Balbas: Arte Hispano Mausulmana hasta la Caide de Califato del cordoba en Historia de Espana ,. T.v. Madrid 1957, p. 351

Ewert (Christian) : Die mochee am Bab Al – Mardum in Toledo Eime Kaoppie Der Moschee Vou cordoba Heidbery 1944, p.352

أحمد فكرى : المرجع السابق، ص٢٠٧، السيد عبدالعزيز سالم : جـ١، ص٣٦٠، ٣٦١

(٢٠) ربما ساد هذا الأسلوب فى بناء المساجد فى العصور الإسلامية الأولى عموما ومساجد الأندلس خصوصا نتيجة للأسباب التالية : أ – أن الفكرة فى بناء تلك العمائر كان يقوم على أعداد بيوت للصلاة فسيحة وأروقة طويلة مفتوحة على صحون أو أبهاء واسعة ومكشوفة وهو ما لا تحققه الأواوين المقببة، وبالتالى كان لزاماً لتلك البيوت والأروقة وأكثر مناسباً أن تغطى بأسقف خشبية مسطحة أو مسنمة.

ب– وفرة الأخشاب فى بلاد الأندلس وسهولة الحصول عليه

ج –كان لبرودة المناخ وغزارة الأمطار والثلوج ببلاد الأندلس أثرهما الواضح على مكونات أسقف العمائر الأندلسية التى اتخذت فى معظمها شكل مسنم مثمن الشكل تكسوه قراميد صفت فى شكل نصف دائرى بحيث تسمح بتصريف مياه الأمطار. ربما يفسر ذلك وصف ابن الخطيب لمدينة فنيانة بقوله (كان بردها كثير وودقها أى مطرها كثير) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل) نشر وتحقيق أحمد مختار العباى مؤسسة شباب الجامعة – إسكندرية ١٩٨٣ ص٨٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسطحة تعلوها أسطح منشورية أو مسنمة على الطريقة الشامية[٢١] فى تسقيف أروقة المسجد منذ تشييده فى عهد عبد الرحمن الداخل وحتى عهد عبد الرحمن الناصر الذى أصبحت الأسقف فى عهده مسطحة وليست منشوريه أو مسنمة[٢٢] ثم تابع الحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر نفس الطريقة فى تغطية الجامع بسقف يتألف من جوائز خشبية تحصد بينها سماوات غير أن أسقف زيادة الحكم المستنصر تميزت دون غيرها من أسقف الزيادات التى تعرض لها الجامع باستئمالها على أربع قباب موزعه على النحو التالى، قبة عند مدخل البلاط الذى يتوسط بلاطات الزيادة

(٢١) من الجدير بالذكر أن هذه الطريقة وفدت من المشرق الإسلامى إذا كانت معروفة وشائعة فى عدة مساجد من العصر الأموى أبرزها جامع دمشق. كما انتشرت فى آسيا الصغرى وإيران. وهذا الشكل المسنم للأسقف يرجع إلى أصول قديمة حيث ظهر فى العصر الإغريقي وفى العصرين الرومانى والمسيحي المبكر فى إيطاليا وفى الأقطار الشرقية. وقد زاد الإقبال على هذا الأسلوب فى التغطية وظل سائداً فى عمائر الأندلس منذ ظهوره لأول مرة فى جامع قرطبة وحتى نهاية عصر بنى نصر. رغم تحول المسجد إلى كنيسة فى عام ١٢٣٦م إلا أن هذا التحول لم يمس جوهر السقف حتى القرن الثامن عشر الميلادى (١٧١٣-١٧٢٣م) حين تم إزالته وأقيم مكانه قبوات حديثة. ولحسن الحظ تم الاحتفاظ بعدد كبير من أجزاء هذا السقف بفضل الجهود التى بذلها علماء الآثار الأسبان وعلى رأسهم الأستاذ فيليث هرنانددث. وبعض هذه الأجزاء لا يزال محفوظاً فى متحف الجامع وفى المجنبتين الشرقية والغربية للجامع.

Jimanez (Felix Hernandez) : La techumbre de la Gran Mezquita de cordoba en Archivo Espanol de Arte arqueologia , t, xii, 1928 , pp. 90-92 , p.22

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٣٨١ – ٣٨٢

(٢٢) تتألف الأسقف الأندلسية من عروق خشبية طويلة يطلق عليها فى المصطلحات العربية الأندلسية اسم جوائز Jacena تقطعها لوحات أو حشوات خشبية تعرف باسم سماوات مرتبة فى شكل صفوت عرضية مثبتة فى جوانب الجوائز. وقد تم الاستدلال على هذين المصطلحين (جوائز وسماوات) من وصف الأدريسى لسقف جامع قرطبة بقوله (وسقفه كله من سماوات خشب مسمرة فى جوائز سقفه. وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة والسموات التى ذكرناها هى كلها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المسنمة المسدسة والمؤربى. وهى صنع الفص وصنع الدوائر والمدهن لا يشبه بعضها بعضاً بل كل سماء منها مكتف بما فيه من صنائع قد احكم= =ترتيبها. الإدريسى (الشريف محمد بن عبد العزيز): وصف المسجد الجامع بقرطبة من كتاب نزهة المشتاق: نشر الفريد ديسيه لامار مع الترجمة الفرنسية – الجزائر ١٩٤٩ م، ص٤، السيد عبد العزيز سالم: بعض المصطلحات العربية للعمارة الإسلامية فى الأندلس: نشر مجلة المعهد المصرى – مدريد – ١٩٥٧م – ص٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحكمية تعرف بقبة الضوء **cupula de Lucenario** أو القبة المخرمة الكبرى أو قبة مصلى فيلافيثوسا(٢٣)، وأخرى عند نهايته أمام المحراب(٢٤)، يكتنفها قبتان جانبيتان(٢٥)، والواقع أن توزيع قباب الحكم المستنصر على هذا النحو يعد نقطة تحول كبيرة فى تاريخ عمارة المساجد المشرقية والمغربية بوجه عام ومساجد الأندلس بوجه خاص إذ استطاع مهندس الحكم من جهة التوصل إلى ابتكار أصيل فى تاريخ العمارة الأندلسية.

وهو تعدد القباب على بلاط المحراب واسكوبه ومن جهة أخرى التأكيد على أهمية هذا البلاط الذى يضم المحراب أهم عناصر المسجد، وفيه تتلى آيات القرآن الكريم والمقصورة التى يتخذها الخليفة للصلاة والمنبر الذى يقف عليه الإمام للخطبة(٢٦)، وهذا ما لا نجده فى كل الزيادات التى تعرض لها المسجد منذ الشروع فى تشييده وحتى عهد الحكم المستنصر. بل فى كل مساجد الإسلام شرقا وغربا بحيث يمكن القول بأن قباب زيادة الحكم تمثل اللبنة الأولى فى فن تشييده وحتى عهد الحكم المستنصر. بل فى كل مساجد الإسلام شرقا وغربا بحيث يمكن القول بأن قباب زيادة الحكم تمثل اللبنة الأولى فى فن بناء القباب التى تعتمد على وجود اربع قباب موزعة على بلاط المحراب واسكوبة، وكان لهذا الأسلوب المتطور الذى نشهده لأول مرة فى جامع اسلامى أثره الواضح فى توزيع وبناء قباب المساجد فى بلاد المغرب والأندلس خلال عصرى المرابطين والموحدين التى أتخدت من تسلسل قباب الحكم على بلاط المحراب الموازى لجدار القبلة والعمودى عليه نموذجاً احتذائه تلك المساجد مثل جامع تلمسان بالجزائر من عصر المرابطين (٥٣٠هـ/١١٣٦م) (٢٧)، على عهد على بن يوسف بن

(٢٣) لوحة (١)

(٢٤) لوحة (٢)

(٢٥) جوميث مورينو : الفن الإسلامى فى إسبانيا. ترجمة د.لطفى عبد البديع، د.السيد عبد العزيز سالم ومراجعة د.جمال محمد محرز – نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٨م، ص١٢٩، ص١٣١، ص١٤١ ، ص١٤٥-١٤٦، السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، ج١ ص٣٨٤ – ٣٨٥

(٢٦) يتميز الجامع بوجود قبتين واحدة عند مدخل البلاط الأوسط والثانية عند نهايته أمام المحراب

(27) Marcais (G) : L'Architecture Musulmane d'Occident , Paris 1954, p.192

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تاشقين[٢٨]، وجامع الكتبية بمراكش ٥٤١هـ/١١٤٦م[٢٩]، وأن اقتصر توزيع قبابه البالغ عددها خمسة على بلاط المحراب الموازى لجدار القبلة وفى مسجد تنمال[٣٠] أو تنملل (٥٤٣هـ/١١٤٨م) وهما من بناء عبد المؤمن بن على المؤسس الحقيقى لدولة الموحدين. وفى جامع القصبة بمراكش، الذى تتفق قبابه عدداً وتوزيعاً مع قباب الحكم وقد تم بناؤه عام (٥٩١هـ/١١٩٦م) على عهد يعقوب المنصور بن يوسف الموحدى، وأخيرا مسجد الموحدين بأشبيلية الذى شرع فى بنائه يعقوب بن يوسف عبد المؤمن الملقب بالمنصور فى عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١[٣١]، وبما أن فكرة تعدد القباب وتسلسلها على بلاط المحراب الموازى لجدار القبلة والعمودى عليه صارت طابعا مميزاً لمعظم المساجد فى الغرب الإسلامى، فينبغى الإشارة هنا إلى مصدر اشتقاق هذه الفكرة والتى طبقت قبل زيادة الحكم بنحو قرن من الزمان، وأن اختلفت القباب عددا ففى المسجد الجامع بالقيروان، أقيم قبتان أحدهما أمام المحراب شيدها زيادة الله سنة (٢٢١هـ- ٨٣٦م) والأخرى على مدخل البلاط الأوسط من جهة الصحن

(٢٨) شكل (٥) اقتصر توزيع قبابه البالغ عددها خمسة على بلاطة المحراب الموازية لجدار القبلة .

(٢٩) تتمال كلمة بربرية من كلمتين "تين": ومعناها ذات وأيمل ومعناها الحواجز التى توضع فى سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقى (محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس، دار صار بيروت – بدون صالح ص٥١ هامش (٢) .

(٣٠) تبقى إطلال قباب ثلاثة موزعة على البلاط الموازى لجدار القبلة
Marcais (G): op –cit, p.201

(٣١) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) : المن بالإمامة تحقيق عبد الهادى التازى، دار الغرب الإسلامى، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٧ ص٣٨٢ حيث الإشارة إلى أن ابتداء البناء كان فى شهر رمضان من السنة المذكورة ولمزيد من التفاصيل عن هذه المساجد راجع على سبيل المثال توريس بلباس: الفن المرابطى والموحدى، ترجمة سيد غازى – درا المعارف بمصر ١٩٧١، ص١٥-٢٣ ، السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ، الجزء الثانى، طبعة الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، ص٦٦، ٦٧٦، ٧٤٢ ، ٧٦٨، ٧٧٢، سعد زغلول عبد الحميد: العمارة والفنون فى دولة الإسلام منشأة المعارف إسكندرية ١٩٨٦، ص٤٩٧ – ٥٠١، محمد محمد مرسى الكحلاوى : مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، القاهرة بدون تاريخ ص١٣٥-١٤٥، ص٢١١- ٢٤٩، ٣٣٨ – ٣٤٤، وكذلك ص٣٥٦ حيث الإشارة إلى أن فكرة تعدد القباب ترجع إلى أصول مشرقية أقدمها الجامع الكبير بمدينة حماة الذى يرجع إلى عام ١٥٧هـ/٧٧٣م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شيدها إبراهيم بن أحمد بن أغلب سنة ٢٦١هـ – ٨٧٤م الذى اتخذ الجامع شكله النهائى فى عهده، ومن مسجد القيروان انتقل هذا الأسلوب الذى يعتمد على بناء قبتين على البلاط الأوسط ببيت الصلاة[٣٢] إلى مسجد الزيتونة بتوتس (١١٤هـ/٧٣٢م) [٣٣] حيث أقيم أمام المحراب سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) قبة نظيره لقبة محراب القيروان، وفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م توج مسجد الزيتونة بقبة ثانية على مدخل البلاط الأوسط من جهة الصحن تعرف بقبة البهو[٣٤]، ومعنى ذلك أن قباب القيروان كانت النموذج البارز الذى أتبع فى بناء وتوزيع قباب المساجد فى بلاد المغرب [٣٥].

والواقع أن ذكرى هذا الأسلوب ظلت حية بعد ذلك بنحو قرن من الزمان فقلدها مهندس الحكم المستنصر فى زيادته بجامع قرطبه عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م تقليدا تاما حتى أن المرحوم الدكتور السيد عبد العزيز سالم رجح بأنه يكون من بين مهندسى الحكم من كان تونسيا [٣٦]، استنادا على نص أورده ابن عذارى جاء فيه (أنه تدعى إلى هذه البنية – أى زيادة الحكم – كل صانع حاذق من أقطار الأرض)[٣٧].

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن هذا الأسلوب فى توزيع القباب على النحو الذى فصلناه قد ظهر أول ما ظهر فى بلاد المغرب بجامعى القيروان والزيتونة، ثم فى بلاد الأندلس بزيادة الحكم المستنصر وأن اختلفت القباب عددا ونظاما وزخرفه، ويتمثل هذا الاختلاف فى زيادة عدد قباب الحكم التى بلغت أربعة فى حين اقتصر عددها بجامعى القيروان والزيتونة على قبتين فقط مما يعطى لمهندس الحكم قصب السبق فى تطوير الفكرة التى اشتقت من نموذج بسيط الشكل كان قائما فى جامعى القيروان والزيتونة ثم تطورت الفكرة التى اشتقت من نموذج بسيط الشكل كان قائما فى جامعى القيروان والزيتونة بحيث اختلف عنهما من حيث الخصائص والمميزات

---

(32) Marcais (G): Op – cit, p.201

(٣٣) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ جامع الزيتونة ومراحل تكوينه منذ نشأته حتى آخر زيادة تعرض لها فى عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، راجع أحمد فكرى : مسجد الزيتونة الجامع فى توزنس – المجلة التاريخية المصرية – المجلد الرابع العدد الأول – مايو ١٩٥١ م : ص٦٥–٦٧

(٣٤) أحمد فكرى : المرجع السابق، ص٧٧، وكذلك راجع شكل ١٠

(٣٥) أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان – القاهرة – ١٩٣٢ م ، ص٩٤

(٣٦) السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ج١ ص٣٦٠

(٣٧) ابن عذارى: المصدر السابق جـ٢ ص٢٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعمارية والزخرفية، والتى من أبرزها أشكال الضلوع التى انفصلت عن غطاء القبة فى جامع قرطبة[٣٨]، وإذا انتقلنا إلى المشرق الإسلامى نجد أن الفكرة نفسها قد طبقت فى العصر الفاطمى. وبصفة خاصة فى الجامع الأزهر (٣٥٩ – ٣٦١هـ/ ٩٦٩ – ٩٧١م) الذى شيد بعد زيادة الحكم المستنصر بجامع قرطبة بنحو خمس سنوات بل أن بناة جامع الأزهر قلدوا أسلوب توزيع قباب قرطبة بعد إضافة الحافظ لدين الله (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) القبة المعروفة بقبه البهو عند بداية الرواق الأوسط العمودى من جهة الصحن [٣٩]، وبذلك أصبح عدد قباب الجامع أربعة[٤٠] حيث كان المسجد فى مرحلة إنشائه الأولى يشتمل على رواق أوسط عمودى على جدار القبلة بنهايته قبه أمام المحراب وبطرفى الرواق مما يلى جدار القبلة قبتين واحدة فى الطرف الشمالى وثالثة فى الطرف الجنوبى [٤١]، كما نشهد نفس هذه الفكرة فى جامع الحاكم بأمر الله (٣٨٠ – ٤٠٣هـ – ٩٩٠–١٠١٣م) وان اختلفت القباب عددا حيث يعلو بلاطه المحراب الأولى بعد جدار القبلة ثلاث قباب اثنتان ركنيتان بواقع واحدة بكل طرف، وقبه تتوج أسطوان المحراب وبذلك تكون فكرة تسلسل القباب على بلاطة المحراب[٤٢] قد انتقلت من الأندلس ممثلة فى قباب زيادة الحكم بجامع قرطبة إلى مصر الفاطمية، واعتقد أن الفكرة وأن كانت قد ظهرت بادئ ذى بدء فى بلاد المغرب وبخاصة فى جامعى القيروان والزيتونة غير أنها انتقلت بشكلها المتطور المعتمد على أربع قباب بدلا من قبتين أو ثلاث قباب من قرطبة إلى مصر الفاطمية وظهرت لأول مرة فى الجامع الأزهر بعد زيادة الحافظ لدين الله.

---

(٣٨) L.ambert (Elie): Les coupoles des Grandes Mosquees de Tunisie et de L'Espange au 1 xe et xe Siecls Hesperis , T, Xxii, Fasc,2, 1936 p.215

(٣٩) اقتبس نظام البلاط أو الرواق القاطع المعروف بالمجاز القاطع فيما اقتبس من أنظمة وعناصر أخرى انتقلت من بلاد المغرب إلى مصر فى عصر الدولة الفاطمية حيث ظهر هنا لأول مرة فى مصر الإسلامية فى حين ترجع أقدم أمثلته فى المغرب إلى زيادة بشر بن صفوان بمسجد القيروان ١٠٥هـ/٧٢٣م وفيه تتأكد صفة البلاط القاطع الأكثر اتساعا من باقى البلاطات

Marcais (G) : Manuel d'art Muslman , Paris 1926 , t.I . p.57

(٤٠) لوحه (٥).

(٤١) أحمد عبد الرزاق أحمد : العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى – دار القاهرة للكتاب ٢٠٠٢م، ص ١٤٦، محمد حمزة : المجمل ص٥٠٤

(٤٢) لوحة (٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : ظاهرة تعدد المحاريب :

بدأ الحكم المستنصر زيادته بجامع قرطبة عام ٣٥١هـ/٩٦٢ م بهدم جدار القبلة القديم بأكمله واحتفظ فقط بأعمدة المحراب القديم التى نقلها إلى مكان المحراب الجديد وفى مكان الجدار المتهدم أقام أحد عشر عقداً تقوم على دعائم ثم مد صفوت العقود جنُوباً نحو ٤٥ م[٤٣]، فاتسع بيت الصلاة وأصبح الجامع بعد زيادة الحكم يؤلف مستطيلاً طوله من الشمال إلى الجنوب نحو ١٦٥ م وعرضه من الشرق إلى الغرب نحو ١٢٥م[٤٤].

وما يهمنا هو المحراب الجديد الذى حل محل المحراب القديم فى جدار القبلة الجديد عند نهاية الفضاء القبلى للجامع حيث تنحدر أرضية الجامع نحو نهر الوادى الكبير. فهذا المحراب الذى وجه إليه الحكم المستنصر عناية خاصة يعد عملا فريدا فى العمارة الإسلامية، وقطعة فنية عز أن نجدها فى كل المساجد[٤٥]، إذ يؤلف ابتكار جديداً يضاف إلى جملة الابتكارات التى أضيفت إلى عناصر البنيان الأولى للجامع منذ تشييده حتى زيادة الحكم ويتجلى ذلك فى تصميمه على شكل مثمن[٤٦] منتظم الأضلاع من الداخل مفرع فى كتله ضخمة من البناء تبرز عن سمت جدار القبلة من الخارج فتبدو وكأنها دعامة مستطيلة الشكل، ومن الداخل يبلغ عمق تجويفه نحو ٤ م واتساع فتحته من الشرق إلى الغرب حوالى ٣½ م [٤٧] ومتوسط ارتفاعه حتى رأسه حوالى ٧ م.

وهكذا نلاحظ أن مهندس هذا المحراب لم يتبع فى تخطيطه أصولا سابقة فهو من الظواهر المعمارية النادرة حيث أن تخطيطه المثمن قلما نجده فى تخطيط المحاريب فى مساجد المشرق والمغرب الإسلامي بل أقدم نماذج هذا التخطيط يتمثل فما اعلم فى تاريخ العمارة الإسلامية فى محراب الحكم الذى أثر على نموذجين فقط من نماذج محاريب العمارة الدينية الأندلسية الأول نشهده فى محراب جامع المرية الذى يرجع إلى أو أخر القرن

---

(٤٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص٢٣٤

(٤٤) المقرى : المصدر السابق، جـ١، ص٥٥٠

(45) Grube (E.J.) : The world of Islam , London 1967, p.27

(٤٦) لفت هذا التصميم المثير انتباه الإدريسى فى وصفه لمحراب الجامع بقوله (وهو مثمن البنيان من داخله ومكسوة جوانبه بثمانية ألواح من الرخام) الإدريسى: المصدر السابق ، نشر الفريد ديسية لامار، ص٨

(٤٧) المقرى : المصدر السابق ، جـ١، ص٥٥١، السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ج١ ص٤٠٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤هـ/١٠م أى عهد الحكم المستنصر(٤٨)، والمثال الثانى نجده فى محراب جامع فنيانه الذى يرجع إلى عصر
الموحدين وخارج الأندلس نجد أن الفكرة قد طبقت فى محراب جامع القصبة بمراكش(٤٩).

أبواب محراب جامع قرطبة وأثرها على فكرة تعدد المحاريب فى العمارة الفاطمية بمصر :

لاشك أن المحارب بأشكالها المختلفة تمثل أحد عناصر بناء الجامع الهامة. وقد زاد من أهمية وقيمة تصميم محراب الحكم أنه قد أقيم على جانبيه يمينا ويساراً بابين مفتوحين (أى حقيقيين وليس وهميين) (٥٠)، معقودين بعقدين جانبيين متجاوزين على شكل حدوه الفرس يكتنفان عقد المدخل إلى المحراب المتجاوز أيضاً لنصف الدائرة على شكل حدوه الفرس، فظهر البابين الجانبين المعقودين وكأنهما محرابين(٥١). وهذه الفكرة انتقلت من محراب الحكم المتنصر إلى العمارة الفاطمية حيث اتخذت تلك الفكرة انموذجاً لبعض محاريب العصر الفاطمى والتى نجد فيها جدار القبلة مزود بثلاث محاريب وأقدم مثل معروف لتعدد المحاريب بجدار القبلة جاء بعد محراب الحكم بنحو ست وسبعين سنه. وذلك فى مسجد دير سانت كاترين

---

(٤٨) Torres Balbas : La Mazquita Mayor de Almeriam Al Aandalus , v, Xvill 1953 , p.429

كمال عنانى إسماعيل: الآثار المعمارية الباقية من مسجد فنيابة بحث ضمن منشورات اتحاد المؤرخين العرب – نوفمبر ١٩٩٧ ص٤٤٠ .

(٤٩) Sanchez Sedano (M del Pilar) inventrio de Archuitecture a musulmana en la provencia de Almeria, Boletin del instituo de Estudios Almerienses (N.5 Almeria, 1985, p.182

(٥٠) محمد الكحلاوى : المرجع السابق،ص٢٢٥

(٥١) لوحة (٧) إلى جانب المحراب المجوف عرف المسجد المحراب المسطح الذى يكون أشبه بالباب الوهمى فى جدار القبلة والذى استمر فى صورة المحراب الجصى فى عمارة العصر العباسى بقى منها عدد من النماذج فى جامع أحمد بن طولون بعضها من العصر الفاطمى والبعض الآخر من العصر المملوكى (سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص٢٥٦ – ٢٥٧، هامش (٢) حيث الإشارة إلى ما ذكره بوركات فى كتابة فن الإسلام ولغته ومعناه إلى النموذج الموجود فى كهف الصخرة بالقدس إذا صح أنه من عصر البناء الأول سنة ٧٢هـ/٦٩١م وكذلك راجع فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر المجلد الأول (عصر الولاة) ص٦٠٥، وحول نشأة المحراب وأصله، راجع نفس المرجع ص٥٨٤ ولنفس المؤلف راجع : العمارة الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها الرياض ١٩٨٢ ص ١٥٢ومابعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذى شيد فيما بين عامى ٤٢٩هـ/٤٣٣هـ/١٠٣٧-١٠٤١م) [٥٢] وبعد ذلك بنحو قرن من الزمان نجد بجدار القبلة بمسجد السيدة رقيه (٥٢٧هـ/١١٣٣م) ثلاثة محاريب أيضاً. كما وصلنا من العصر الفاطمى ثلاث مشاهد بكل منها ثلاثة محاريب مجوفة فى جدار القبلة، وهى مشاهد أخوه يوسف فى أوائل القرن ٦هـ/١٢م ويحيى الشبيه ٥٤٥هـ/١١٥٠م) وأم كلثوم، وكلها معاصرة لتاريخ مسجد السيدة رقية[٥٣]، وإذا كانت الفكرة العملية هى التى أملت على مهندس الحكم فتح البابين المذكورين من أجل المحافظة على التناسق والتعادل ما بين تجويف المحراب والبابين المفتوحين عن يمينه ويساره فإن الفاطميين قد أخذوا من تلك الأبواب فكرتها العملية والمعمارية ثم طبقوها على محاريبهم مع شئ من الابتكار فظهرت فى صورة معمارية جديدة.

وكذلك انتقلت فكرة تعدد المحاريب بجدار القبلة إلى العمارة المملوكية وقد تجلى ذلك فى عقدى المحربين اللذين يكتنفان المحراب الرئيسى فى رباط أحمد بن سليمان الرفاعى (٦٩١هـ/١٢٩١)، ونفس هذا التأثير نجده فى مدرسة السلطان برقوق[٥٤] وفي جامع محي الدين أبو الطيب (٩٣٤-٩٣٦هـ- ١٥٢٧م) .

فعلى جانب حنيه المحراب دخلتان معقودتان بعقد مدبب كما يتجلى التأثر الواضح بمحراب جامع قرطبة فى محراب مدرسة المنصور قلاوون من حيث عمق المحراب وأتساع دخلته التى يكتنفها أربع دخلات بواقع دخلتين بكل جانب بالإضافة إلى زخارف واجهة المحراب التى تكاد تطابق

(٥٢) السيد عبد العزيز سالم : الآثار الإسلامية فى دير سانت كاترين بطور سيناء (بحث ضمن موسوعة بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة الإسلامية – القسم الثانى – ص٣٧١، حيث الإشارة إلى أنه بفضل النقش الكتابى المسجل على كرسى المسجد يمكن إرجاع تاريخ منبر مسجد الدير إلى ما بين عامى ٤٩٥-٥٠٠هـ/ ١١٠١-١١٠٦م، وأن هذا المسجد أقيم فى خلافة الآمر بأحكام الله الفاطمى وتم بنظر الأمير أبى المنصور أنوشتكين الأموى، فى حين أكد الدكتور أحمد فكرى أنه كان يظن بأن هذا المسجد قد بنى فى عهد الآمر بأحكام الله سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م وهو تاريخ صنع المنبر المحفوظ بمسجد الدير، أما تاريخ إنشاء المسجد نفسه فصحته كما هو وارد فى المتن (٤٢٩هـ/ ٤٣٣هـ) أحمد فكرى: المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م جـ١، ص١٤٥ هامش (١)

(٥٣) لوحة (٨، ٩، ١٠).

(٥٤) لوحة (١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زخارف محراب جامع قرطبة لاسيما فى الفسيفساء الزجاجية الملونة التى تشغل جانبى عقد المحراب وقوامها توريقات وسيقان نباتية باللون الأزرق والذهبى والأحمر وكلها تذكر بزخارف الفسيفساء النباتية فى محراب جامع قرطبة[٥٥] والتى من أبرز عناصرها أشكال المراوح النخيلية البسيطة التى ظهرت فى صورتين الأولى من فصين غير متماثلين وذلك فى بائكة العقود الزخرفية التى تتوج المحراب، والصورة الثانية تتكون فيها من فصين متماثلين متداخلين عند برعم مركزى هذا بالإضافة إلى أنصاف المراوح النخيلية التى نشهدها فى عقد المحراب وقبته وأوراق الاكنتش فى سنجات العقد وأزهار الزنبق ثلاثية الشحمات التى تشبه زهرة اللوتس وتبدو فى شكل عقود متراكبه أو مفصصه تقوم على قاعدة تنبت منها سيقان مزدوجة يتفرع منها مراوح نخيلية ونشهدها فى زخارف قبة المحراب فضلا عن الأزهار متعددة البتلات التى يتراوح عددها ما بين أربع وست وثمان بتلات وأشكال الثمار ومنها كيزان الصنوبر ذات البدن المقسم بخطوط تشبه قشور السمك وحبات العنب التى تتدلى على جانبي ساق رأسيه تذكر بشكل شجرة الحياة .

وقد تطورت عمارة المحراب فى جامع قرطبة تطورا متشعبا فلم يقتصر الأمر على ظهور البابين اللذين يكتنفان تجويف المحراب وشيوع استخدام الفكرة نفسها ولكن بصورة معمارية فى محاريب العصر الفاطمى وبعض نماذج من العصر المملوكى بل عنى بوجود غرف تفضى إليها هذه الأبواب خصص بعضها كمخزن للجامع والبعض الآخر كحجرات للساباط الرابط بين الجامع والقصر على نحو يذكر بمحراب إيوان القبلة بمدرسة المنصور قلاوون ٦٨٣هـ/ ١٢٨٣م حيث يوجد على يمين المحراب ويساره دخلتان تشبهان دخلتى بابى مخزن وغرف الساباط بجامع قرطبة .

ويعتبر محراب ضريح أو قبه المنصور قلاوون من أجمل المحاريب المصرية بما يشتمل عليه من زخارف ونقوش غمرات واجهاته وفاقت غيرها من المحاريب التى تأثرت بمحراب جامع قرطبة. فهذا المحراب يماثل فى جملته بعض التقاليد المعمارية والفنية لمحراب جامع قرطبة من حيث شكل العقد الحدوى واتساع فتحته[٥٦] ووجود دخلات على جانبى المحراب احتشاد وحنيته وواجهته والأروقة التى تتقدمه بالعديد من

(٥٥) لوحة (٢، ٧).
(٥٦) لوحة (١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزخارف التى تذكر بزخارف محراب جامع قرطبة وزخارف الفنون الأندلسية بوجه عام والتى نذكر منها على سبيل المثال الزخارف الجصية على باب الدخول لقبه الضريح وتركزت بشكل واضح حول أحجبه التشبيكات الجصية التى تشغل النوافذ الثلاثة المعقودة والمزدانه بزخارف هندسية رباعية وخماسية وسداسية وثمانية موزعه توزيعا هندسيا رائعا على نحو يذكر بزخارف الحجر والرخام والجص بجامع قرطبة كما يحيط بتلك التشبيكات الجصية من الداخل أطار كتابى نطالع فيه عبارة الملك بالخط الكوفى الأندلسى وذلك فى النافذة الوسطى، أما النافذتين اللتان تكتنفان النافذة الوسطى منهما فهما متشابهتان من حيث الشكل وزخارف أحجبتها الجصية والتى يحيط بكل منهما أطار ضيق عبارة عن خطوط متوازية ترسم أشكال المثلثات مقلوبة ومعدولة بالتناوب مثل التى نراها فى زخارف جامع قرطبة كما يتوج عقود النوافذ الثلاثة عقود متقاطعة تشبه العقود المتقاطعة التى يرجع ابتكارها إلى الفن المعمارى الأندلسى.

ثالثا : ظاهرة الدعائم المحمولة على أعمدة :

تعد أعمدة جامع قرطبه التى تكتظ بها زيادة الحكم المستنصر من أكثر أعمدة مباني المساجد الأندلسية ارتفاعاً وأبدعها تقسيماً وجمالاً فهى مصنوعة من الرخام الأسود المجزع بالأبيض تتناوب مع أعمدة الرخام الرمادي المائل إلى الزرقة[٥٧] الذى اشتهرت به جبال قرطبة[٥٨]. والرخام الوردي المجلوب من مدنية قبره[٥٩]. ومعظم هذه الأعمدة متساوية فى ارتفاعها حيث نجح المعماري فى معالجة الاختلاف فى الارتفاع عن طريق التلاعب بأطوال التيجان وقواعد الأعمدة فبعضها يقوم على قواعد مستديرة تتخذ نفس قطر العمود من أدنى، وبعضها يخلو من تلك القواعد حيث تقوم مباشرة فوق أرضية المسجد، وهذه الأعمدة موزعة فى صور مختلفة منها ما يبدو فى شكل منفرد أو مزدوج، ومنها ما يبدو مندمجاً مع دعائم أو أكتاف تختلف فى أطوالها وأشكالها وزخارفها[٦٠]. وإذا كانت عمارة جامع قرطبة منذ تشييده وإلى أن اتخذ شكله النهائي فى عهد

---

(٥٧) لوحة (٤، ١٤أ، ب).

(٥٨) المقرى : المصدر السابق جـ١، ص٢٠١، حيث الإشارة فيما نقله عن الرازى (وبالأنلس مقاطع للرخام وبقرطبة مقاطع للرخام الناصع والخمرى)

(٥٩) Torres Balbas : Arte Hispano Musulmana hasta la Caida del califato de cordoba en Historia de Espana T.V. p.454

(٦٠) لوحة ([١٤أ ، ب)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنصور بن أبى عامر مروراً بزيادة الحكم تمتاز باستخدام الأعمدة فى حمل العقود ورفع الأسقف فأن بناه الحكم استخدموا دعائم بدلاً من الأعمدة عندما هدموا جدار القبلة وأقاموا مكانه أحد عشر عقداً مزدوجاً ترتكز على دعائم ضخمة يسميها المؤرخون بالأرجل الحجرية الضخام(٦١). ولكن المشكلة التى واجهت بناه الحكم كانت فى كيفية حمل العقود المتراكبة ورفع القباب الضخمة والسقف المسطح فى الجزء الأوسط من بيت الصلاة مما يلى المقصورة الذى زاد ارتفاعه بما يعادل نصف ارتفاع سقف بيت الصلاة القديم. وبالفعل تمكن مهندس الحكم من ابتكار حل معمارى أصيل لهذه المشكلة. فبالنسبة للجزء الأوسط من بيت الصلاة حيث السقف السطح فقد أطال من الحدائر التى تنبت منها العقود الحدوية بالطابق الأدنى منها بحيث تحولت إلى دعائم مثمنة الشكل مكسوة بزخارف هندسية محفورة فى الجص قائمة بين أعمدة تحمل عقود الطابق العلوى الذى يقوم عليه السقف(٦٢). أما بالنسبة للقباب الأربعة والعقود التى تحملها والتى سبق الإشارة إليها فقد تم رفعها على أعمدة تنبت من قرم تيجان الأعمدة السفلية تميزت هنا بأنها اقل طولاً وأكثر نحوله وجمال من الأعمدة التى تدنوها، وبهذا الحل حقق مهندس الحكم عدة أهداف معمارية وجمالية فى آن واحد، وهى تحقيق الدعم المطلوب بأسلوب متطور حافظ فيه على إحداث التأثير الجمالى عن طريق استبدال الدعائم بالأعمدة، وهذه ميزة فنية وحل بارع لأن استخدام الدعائم من شأنه أن يفسد المظهر الجمالى الذى يسود بيت الصلاة ويمنع رؤية جدار القبلة، ولتثبيت هذه الأعمدة ربط بين رؤوس تيجانها بأوتار رخامية ساعدت على تقوية هذه الأعمدة واستقرارها فوق الأعمدة التى تدنوها(٦٣).

---

(٦١) ابن حيان: المقتبس نشرة الحجى – ص ٢٤٥ وكذلك راجع ابن عذارى – المصدر السابق – جـ٢ ص٢٣٠، وفى موضع آخر يشير ابن عذارى إلى شروع الحكم المستنصر فى زيادته بالجامع وأمره إلى حاجبه وسيف دولته جعفر بن عبد الرحمن الصقلبى بالنظر فى سوق الصخور بقوله (وافتتح فى خلافته بالنظر فى الزيادة فى المسجد الجامع بقرطبة وهو أول عهد انفذه وقلد ذلك حاجبه وسيف دولته جعفر بن عبد الرحمن الصقلبى لأربع خلون لرمضان من السنة (٣٥٠هـ)، وهو اليوم الثانى من يوم خلافته فكان أول ما عهد إليه تقديم النظر فى سوق الصخور التى هى أساس البنيان فابتدئ بانتقالها فى رمضان المذكور راجع نفس المؤلف ص٢٣٣

(٦٢) لوحة (١٤أ، ب)

(٦٣) لوحة (٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونظراً لأن قبة الضوء هى الوحيدة من بين قباب المسجد التى تغطى ثلاثة أساطين أو مربعات بزيادة أسطوان عن قبة المحراب وأسطوانيين عن القبتين اللتين تكتنافه لذلك فقد أقام مهندس الحكم فى كل ركن من أركانها أربعة أعمدة(٦٤). موزعة عمودين متجاورين فى الجانبين القصيرين من جوانب كل أسطوانة بينهما عمودين متباعدين من الجوانب الطويلة ثم عمود واحد فى الجانبين القصيرين(٦٥). ومن الملاحظ أن الأعمدة بعقودها لا تقسم المساحة فى بيت الصلاة أفقيا إلى أروقة بل أنها بفضل العقود المزدوجة التى يحمل بعضها فوق أكتاف بعض تقسم بيت الصلاة أيضاً رأسياً بصفوف الأعمدة الراكبة العليا(٦٦).

وهكذا نجح مهندس الحكم فى استخدام الدعائم المحمولة على أعمدة التى يحمل بعضها بعض فى حمل العقود ورفع السقف سواء المقبب أو السطح إلى ضعف ارتفاعه بوسائل مبتكرة أملتها عناصر البناء ومواده التى تتوافر لديه فتم الاستغناء عن الدعائم التى كان يتطلب وجودها تخصيص جزءاً كبيراً من سطح أرضية بيت الصلاة يساوى تقريباً ضعف المساحة التى شغلتها الأعمدة المتراكبة والدعائم المحمولة على الأعمدة، وبالتالى اختلاف نسب تكوينها ومستويات ارتفاعها فى جميع أنحاء المسجد

وتعد مجموعة المنصور قلاوون من أكثر آثار مصر المملوكية تعبيراً عن التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية حيث نشهد نفس الأسلوب تقريبا فى معالجة رفع السقف بواسطة الدعائم المحمولة على أعمدة فى مدرسة المنصورة قلاوون، ويتمثل فى ذلك بوضوح فى العقود الموزعة على طابقين بواجهه إيوان القبلة فى عقود الرواق الأوسط من إيوان القبلة والعقود المطلة على الصحن بذات المدرسة(٦٧).

رابعا : ظاهرة الكوابيل الحجرية ذات اللفائف:

لم يقنع مهندس جامع قرطبه بكل هذه الابتكارات بل زاد من جمال العقود والدعائم التى تحملها بأن جعلها تقوم على مساند أو كوابيل ذات لفائف متموجة ترتكز بدورها على الحدائر أو الطبالى الحجرية التى تعلو تيجان الطابق الأدنى من الأعمدة، فتساعد فى تشتيت الضغط على رؤوس تلك

(٦٤) السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق ص٣٦١

(٦٥) لوحة (٧).

(٦٦) سعد زغلول عبد الحميد: العمارة والفنون فى دولة الإسلام، ص٣٠٦ لوحة ٢٣

(٦٧) لوحة (١٥أ ، ب)، لوحة (١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التيجان والأعمدة وحمايتها من الانهيار، ومع أن هذا النوع من المساند ذات اللفائف قد استخدم فى الجامع القديم منذ تشييده على عهد عبد الرحمن الداخل فهى من الابتكارات الأندلسية التى ظهرت لأول مرة بهذا الجامع إلا أنه من خلال وتتبع اصول هذا العنصر المعمارى الزخرفى أى المسند ذو اللفائف(٦٨)، وبداية ظهوره فى زيادات المسجد المختلفة نجد أنه بلغ غاية التطور فى زيادة الحكم ويلاحظ هذا الاختلاف المتطور فى أن تلك المساند قد بدأت ملساء مجردة من اللفائف ثم أضيفت إليها تلك اللفائف التى تراوحت ما بين ثلاثة لفائف وبداية لفيفة رابعة (٦٩). ثم أربع لفائف متكاملة ثم خمسة لفائف فى زيادة الأميرين عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) وابنه محمد (٢٣٨ - ٢٧٣-٨٨٦م)(٧٠) ثم أصبحت فى زيادة الحكم تتألف من ست لفائف دائرية متراكبة أشد قوة وأكثر ثراءاً زخرفيا من كوابيل الدعائم السابقة عليها. حيث انفردت دون غيرها بظهور شريط على شكل شوكة أو شوكتين قسمت الفائف التى يشتمل عليها الكابولى إلى أربعة أقسام منفصلة بحيث تبدو كما لو كان الكابولى قد تحول إلى عدة كوابيل. وأحيانا أخرى نلاحظ أن هذا الشريط قد قسم اللفائف إلى قسمين منفصلين وكأنه قد تحول إلى كابولين توأمين(٧١)، وقد ظهرت أوجه تلك اللفائف أحيانا ملساء وأحيانا اتخذت أشكال خطافية مزدانه بتشكيلات هندسية وتوريقات نباتية قوامها محارة متعددة الفصوص

---

(٦٨) حول أصول هذا العنصر المعمارى الزخرفى أكد جوميث مورينو بأنه لا يوجد أمثلة سابقة له سواء فى العالم الشرقى أو الغربى القديم باستثناء تيجان سوسة وطاق بستان من العصرين الأخمينى والساسانى غير أن هذه الأمثلة تختلف عن كوابيل قرطبة الإسلامية كما أن الكوابيل القوطية التى ظهرت فى شبه جزيرة أيبريا قبل الفتح الإسلامى تختلف عن كوابيل جامع قرطبة فى أنها تتكون من لفيفة واحدة قوامها انحناء فى الحافة لا تقارن بكوابيل قرطبة متعددة اللفائف، جوميت مورينو: المرجع السابق ، ص٤٣-٤٤، ويرجح الأستاذ جورج مارسيه أن القوط استهلموا فكرة هذه الكوابيل من الرومان Marcais (G) : Manuel d'art Musulam, t.I.p.263 وإذا انتقلنا إلى بلاد المغرب نجد أن تلك الكوابيل ظهرت فى عمائر الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م ولكنها نسقت فى عمائر الأندلس تنسيقا أخرجها فى مظهر أكثر إبداعا
Terrasse (Henri) : l'ar Hispano Mauresque des origines au xiii, e siècle p.114

(٦٩) لوحة (١٦أ)

(٧٠) Golvin (Lucien): Essi sur l'Architecture Religieuse Musulan, tome 4, editions Klincksieck, Paris 1979 , p.138

(٧١) لوحة ١٦ أ ، ب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونصف مروحة نخيلية تمتد من أعلى الكابولى إلى خارج اللفائف بحيث تبدو كما لو كانت معلقة بالكابولى من الخارج[٧٢]. وأحيانا يشغل الفراغ الواقع بين اللفائف نقش كتابي بالخط الكوفى نطالع فيه عبارة التوحيد حروفه محفورة حفرا غائرا[٧٣] فبدت كما لو كانت شبكة منسوجة أو كغلالة بديعة التطريز[٧٤]. وهكذا أولى فنان الحكم الكوابيل أهمية كبيرة فجعل منها عناصر جمالية بارزة لافته للنظر جمعت بين القيم المعمارية والزخرفية فمعظم لفائفها مغمورة أو محصورة بين التشيكلات النباتية والهندسية، وفى نفس الوقت تركت مجالا واضحاً للأرضية المجوفة التى برزت فيها النقوش الكتابية، وبذلك تضاءلت فيها المسطحات العارية وكونت أنواعاً تختلف فى أشكالها الخطافية وأساليب زخارفها عن الكوابيل السابقة[٧٥]. ومنذ ذلك الحين أى بعد زيادة الحكم شهدت الكوابيل الخطافية رواجا كبيرا لاسيما فى الواجهات الخارجية وأعتاب أبواب العمائر الدينية والمدنية والتى ترجع إلى ما بعد عصر الخلافة وحتى عصر بنى نصر ٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣١-١٤٩٢م[٧٦].

وقد استلهم مهندس جامع أحمد بن طولون أثناء تجديدات السلطان حسام الدين لاجين للجامع (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) فكرة الكوابيل الحجرية ذات

---

(72) Golvin (Lucien) : op – cit , p.140

(٧٣) لوحة (١٦ب).

حنان عبد الفتاح مطاوع: الزخارف المحفورة فى الحجر والرخام في الأندلس منذ عصر الإمارة حتي نهاية عصر الطوائف، مخطوط رسالة ماجستير إسكندرية ١٩٩١م ص١٤٦.

(٧٤) لمزيد من التفاصيل عن كوابيل جامع قرطبة وتطورها فى زيادة الحكم المستنصر راجع:

Salem (Al – Sayyid Abdel Aziz : cronologia de la Mezquita Mayor de cordoba Lvantada por Abd Al Rahman I , Alandules vol , xix, 1954 , pp 404 – 408

السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور ، ص٢٥ – ٢٦

(٧٥) عثر على نماذج من الكوابيل متعددة اللفائف فى جامع تطيلة المؤرخ بعصر الإمارة ومن خلال الدراسة التحليلية التى أفردها الأستاذ بافون مالدونالدو عن هذا النوع من الكوابيل، أكد على أنها لا ترجع إلى عهد بناء الجامع وإنما ترجع إلى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادى إذا تندرج ضمن مجموعة كوابيل عصر الخلافة من حيث أسلوب التكوين المعمارى والزخرفى .

Pavon Maldonado (Basilio) : La Mazquita Mayor de tudela, 1945 , pp.35-47

(٧٦) أحمد فكرى : اثر العرب والإسلام على النهضة الأوروبية – القاهرة – ١٩٧٠ ص٤٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللفائف بصورة تكاد تكون مطابقة لصورتها المعمارية والزخرفية التى ظهرت عليها فى كوابيل زيادة الحكم المستنصر بجامع قرطبة حيث نشهدها فى كوابيل القنطرة التى تربط المئذنة بالجامع وهو الأمر الذى يؤكد بأن جامع قرطبة ظل يمارس تأثيراته المعمارية على عمارة مصر المملوكية رغم الفارق الزمنى الكبير بين تاريخ ظهور تلك الكوابيل بجامع قرطبة و بين ظهورها فى تجديدات جامع ابن طولون فى العصر المملوكى(٧٧).

كما نشهد نماذج لهذه الكوابيل على واجهه كتاب سبيل حسين الشعيبى (ق١٢هـ/١٨).

خامسا: العقود الحدوية

يتميز تكوين العقد الحدوى بأن تقويسه لا يقف عند الخط الأفقى الذى يقع عليه مركز العقد إذا كان نصف دائرى أو يقع عليه مركز العقد إذا كان مدببا، ومعنى ذلك أن هذا العقد يتميز بأنه مزود بمركزين بحيث يزيد ابتدائه عن خط امتداد رجلى العقد وقد اختلفت العقود الحدوية المتجاوزة فى نسب تكوينها باختلاف الزمن أو العصر الذى شكلت فيه فمع أنه ظهر قبل الإسلام فى آثار المسيحيين الأوائل حيث نجد أقدم أمثلته فى معمودية مار يعقوب التى شيدت في عام ٣٥٩م فى نصيبين بأسيا الصغرى وتوجد له أمثلة ظهرت فى العديد من الرسوم المنفذة على الأوانى الساسانية المعدنية كما وجد فى العصر الإسلامى فى سوريا فى الجامع الأموى بدمشق غير أنه اتخذ صورة جديدة فى بلاد الأندلس التى ظهر فيها لأول مرة في تاريخ العمارة الأندلسية فى صورة معمارية .

ممثلاً فى عقد باب سان استيبان المعروف بباب الوزراء بجامع قرطبة الذى يمثل مرحلة انتقال بين العقود المتجاوزة فى بيت الصلاة بالمسجد القديم الذى يرجع إلى عهد عبد الرحمن الدخل المتأثرة بتقاليد العقود فى أسبانيا القوطية والعقود الحدوية المشرقية التى نبت فيها مثل هذا النوع من العقود .

حيث تخلص العقد الحدوى الإسلامى فى بلاد المغرب والأندلس من كل التقاليد السابقة المشرقية والأسبانية القوطية (٧٨).

---

(٧٧) لوحة (١٦ ح.)

(٧٨) لوحة ١٧أ ، ب، ج، د

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تجلى ذلك في وجود أسلوبين فى توزيع سنجات العقود الحدوية الأول يقتصر نظام التسنيج فيه على الجزء المركزى من العقد على نحو ما نشهده فى عقد باب سان استبيان[٧٩] أما الأسلوب الثانى المتبع فى تسنيج العقود فقد ظهر فى عقود الجامع التى ترجع إلى عصر الخلافة فى زيادات كل من الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر. والتى نرى فيها السنجات تحف بكامل دائرة العقد.

وقد ظلت العقود الحدوية الأندلسية مستخدمة وتتابع تطورها فى صور وأشكال مختلفة فى العمارة الأندلسية منذ عصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بنى نصر بحيث طغى العقد الحدوى على ما عداه من أنواع العقود لاسيما العقد نصف الدائرى حيث استفاد المعمار الأندلسى من تلك العقود الحدوية فى حل العديد من المشكلات المعمارى التى قد لا تتوافر في العقد نصف الدائرى العقد الذى شاع استخدامه فى العمارة الإسلامية فى المشرق الإسلامى فى حين استقر العقد الحدوى وتابع تطوره فى الغرب الإسلامى.

حيث ظهر أولا فى المغرب منذ أوائل القرن ٢هـ/٨م فى جامع القيروان غير أن التجاوز فيه كان بسيطا لا يزيد عن سدس شعاع العقد إلا أن التجاوز قد زاد فى جامع قرطبة فلم تعد دائرة العقد العليا تتمركز على نفس مركز الدائرة السفلى وترتب على ذلك أن مفتاح العقد أصبح يزيد فى الطول عن السنجات الأخرى.

ووفق حسابات هندسية دقيقة فضل مهندس جامع قرطبة فى زيادته المختلفة العقد الحدوى المتجاوز على العقد نصف الدائرى الذى اقتصر استخدامه على العقود العليا التى تحمل السقف الخشبى و تقوم على الدعائم العليا فى حين . **استخدمت العقود الحدوية فى الطابق الأدنى التى تقوم على الأعمدة السفلى وذلك لعدة أسباب منها :**

(١) أن العقد الحدوى يسمح بدخول قدر أكبر من الضوء لاسيما فى بيت الصلاة لأن محيط فتحة العقد الحدوى أوسع من العقد نصف الدائرى .

(٢) مقاومة العقد الحدوى أكبر من مقاومة العقد نصف الدائرى لأن قوة الدفع الناشئة عن انحنائه تندفع داخل حدود العقد ولا تندفع خارجه وبالتالى تساعد على تماسك أجزائه وبذلك أغنت العقود الحدوية بجامع قرطبة عن استخدام الأوتار الخشبية بين طرفى كل عقد .

---

(٧٩) لوحة ١٧ د .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٣) الحائط الذى يرتفع فوق العقد نصف الدائرى يزيد حوالى ٢ م عن مثيله الحدوى و النتيجة أن قوة احتمال العقد الحدوى تزيد بقله الحمل الناتجه عن انخفاض ارتفاع الحائط الذي يعلوه وينتج عن قله ارتفاع الجدران التى يحملها العقد الحدوى قله فى المصاريف ومواد البناء .

وتتويجا لاسبقيه جامع قرطبة فى ابتكار أمثلة مبتكرة من العقود الحدوية نجد أن مهندس الجامع قد نوع فى نسب تكوينها بحيث يمكن تقسيمها إلى عدة أنواع منها نوع جديد ذو قمة مدببه حادة تشبه العقد الرمحى الذى شاع استخدام فى أوربا فيما بعد فى العمارة القوطية وفيه نجد أن دائرة العقد العليا التى تطوق رؤوس السنجات ترتبط مع رأس مثلث يطلق عليه اسم samler بمعنى مائدة العقد فى حين يسمى القسم الأدنى الذى يشتمل على كتفى الحنيه اليمنى واليسرى للعقد المجاور له اسم Jara بمعنى نبله أو حربه وتزدان الحربه التى يستمر أنحناؤها المقوس عالى كتفى العقدين حتى تلتقى عند حداره العقد بتوريقات نباتية تختلف عن توريقات السنجات و مثل هذا النوع من العقود يقتصر فيه التسنيج على الثلث العلوى من العقد وتعرف فى اللغة الأسبانية باسم arcos enjaradas أى العقود رمحية الشكل غير المسنجه تسنيجاً كاملاً.

وهكذا يتضح أن صفة العقد الحدوى بجامع قرطبة قد تطورت واكتسبت مميزات لا نراها فى شرق العالم الإسلامى ووسطه بل وفي بلاد المغرب عند بداية استخدامه وكان من اثر ذلك أن زادت العناية بالعقود الحدوية ومارست تأثيرها على العمارة الأوربية لاسيما بجنوب فرنسا وعلى العمارة المملوكية فى مصر حيث نشهد أول نماذجها فى عقد المحراب بقبه المنصور قلاوون(٨٠) وعقود القاعدة المربعة للمئذنة(٨١).

كما نشهدها في بنفس نسب تكوينها وصفاتها فى عقد باب المدخل المؤدى إلى مئذنة جامع أحمد بن طولون من عهد السلطان لاجين وفى قاعدة المئذنة وفى القنطرة التى تربطها بالجامع (٨٢).

كذلك استخدم العقد حدوة الفرس فى العقد الذى يتوج مدخل مدرسة المنصور قلاوون (٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٣-١٢٨٤م) وفى عقود الصفة الجنوبية الغربية بذات المدرسة وعقد المحراب بجامع عبد اللطيف القرامز

(٨٠) لوحة ١٨
(٨١) لوحة ١٩
(٨٢) لوحة ٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٩٠هـ/ ١٥٨٢ م وعقود سبيل كتاب سليمان جاويش ١٠٧٢ هـ/ ١٦٦٢م وواجهه حمام الملاطيلى ١١٩٨هـ/١٧٨م وعقد الباب المؤدى إلى الساحة المكشوفة بدهليز جامع الجوهرى ١٢٦١هـ – ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٥م – ١٨٤٨ م وعلى مئذنة مدرسة سلار وسنجر الجاولى ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م

والواقع أن أناقه العقود الحدوية فى كل هذه الأمثلة التى ترجع إلى العصر المملوكى ليست سوى نتيجة طبيعة للعلاقات الوديه التى ربطت مصر بالأندلس فى العصر المملوكى .

سادسا : العقود المفصصة :

هو العقد الذى تتألف استداره حافته السفلية من أقواس صغيره يطلق عليها اسم الفصوص .

وقد ظهر هذا العقد لأول مرة فى العمارة الأندلسية بجامع قرطبة على النافذة اليمنى لباب سان استيبان(٨٣) من عهد عبد الرحمن الأوسط ثم فى صورة زخرفية بحته على أحد جدران دار الجند بمدنية الزهراء. وفى المثالين ظهر بصورة زخرفية بحته أما عن استخدام العقد المفصص كعنصر معمارى مرتبط ببناء الجامع فلم يظهر قبل زيادة الحكم المستنصر فى عام ٣٥١هـ/٩٦١م(٨٤). فالهدف إلى توخاه مهندس الحكم اختلف عن هدف زميله الزهراوى فى عهد أبيه الناصر من حيث استخدامه فى زيادة الحكم فى صورة إنشائية دون أن يفقد مظهره الجمالى. وتتويجاً لأسبقية مهندس الحكم(٨٥). وفى ابتكار أول أمثلة العقود المفصصة فى العمارة

---

(٨٣) لوحة ١٧ د

(٨٤) Camps (y) Cazorla (E) :Modulos Proportions y composicion en la Arquitectura califal cordobesa, Madrid 1953 , p.29

(٨٥) أصول العقود المفصصة مشرقية وبدأت قبل الإسلام فى العقد البيضى لأيوان كسرى واستمرت بعد الإسلام حيث ظهرت فى باب بغداد بالرقه ١٥٥هـ/٧٧٢ وقصر الأخيضر ببادية العرق ١٦٣هـ/٧٨م وفى مسجد عمرو بن العاص ٢١٢هـ/٨٢٧م ومنبر جامع القيروان ٢٢١هـ، ٨٣٦ وفى محراب المسجد الجامع بسامراء ٢٤١ هـ/٨٦٢م وجامع أحمد بن طولون بالقاهرة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م وغير ذلك من الآثار المشرقية وبذلك فهو يمثل أحد التأثيرات المشرقية على العمارة المغربية ألأندلسية ولكن استعماله بتلك العمائر فاق الاستعمال المشرقى لها. كما أن المعمار فى غرب العالم الإسلامى أضفى عليه من الابتكارات ما جعله يختلف شكلا ونظاما عن أصوله المشرقية: لمزيد من التفاصيل راجع عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية – الطبعة الأولى – بيروت ١٩٨٨م ص٢٨١–٢٨٢، فريد الشافعى: المرجع السابق : ص٢٠٣، مورينو: المرجع السابق – ص١١٦، ١١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأندلسية نجده قد نوع فى نسب تكوينها وعدد فصوصها بحيث يمكن تقسيم نظام بنائها إلى ثلاثة أنواع. **الأول:** ثلاثى الفصوص نشهده بصورة متطورة ومبتكرة ميزته عن صورته الزخرفية التى اشتق منها وذلك فى واجهة المحراب. وفى داخل تجويفه(٨٦) **والنوع الثاثى:** نصف دائرى خماسى الفصوص ونشهده على سبيل إدخال عند مدخل البلاط الأوسط لزيادة الحكم، وفى قاعدة قبة المحراب(٨٧)، وفى أحد أبواب الحكم بالواجهة الغربية لبيت الصلاة' **أما النوع الثالث** فمتعدد الفصوص ولكنه منكسر ونشهد فى مواضع عديدة من زيادة الحكم(٨٨).

وهكذا يتضح أن صفة العقد المفصص التى بدأت زخرفية فى مدنية الزهراء تحولت إلى وظيفة معمارية لأول مرة فى زيادة الحكم إذ استفاد منها مهندس تلك الزيادة فى رفع السقف المقبب وتحمل الضغط الذى تمارسه. كما عمل على تنويع أشكال هذه العقود، وكان من أثر ذلك أن انتشر استخدامها بعد ذلك بزيادة المنصور بن أبى عامر بنفس الجامع ثم زادت العناية بها بعد ذلك منذ عصر الطوائف وحتى نهاية عصر بنى نصر(٨٩)، وإن كانت العقود متعددة الفصوص بنوعيها المدبب ونصف

Camps (y) Cazorla (E) : Op – cit , p.p.39-40

(٨٦) لوحة ٢١أ

(٨٧) لوحة ٢١ب، لوحة ٢

(٨٨) لوحة ٢١ ح

(٨٩) إذا كان الشكل العالم للعقد المفصص قد نقله المعماريون فى عهد الحكم من الشكل الزخرفى الذى ظهر عليه بمدينة الزهراء أو من بلاد المشرق، فإن عمارة الحكم كانت المصدر الذى استوحى منه مهندسو عمائر الأندلس بعد ذلك العقود المفصصة بأنواعها المختلفة التى بدأت بثلاثة فصوص ووصلت إلى أحدى وعشرون فصا ثم أخذت تتعقد وتتطور فى شكل هندسى يختلف عن شكل العقود المفصصة التى ظهرت فى جامع قرطبة.

Campsy Cazorla (E) : op –cit , p.p. 44-45

وقد تردد صدى هذه العقود المفصصة بشكلها الهندسى الذى تختلط فيه الخطوط بالمنحنيات فى المئذنة التى تعلو الباب الأخضر بمشهد الإمام الحسين عليه السلام (٦٣٤هـ/١٢٣٦م). وفى الزخارف الجصية المنحوتة بالطاقات التى انتظمت الواجهة الجنوبية من الطابق الأدنى بهذه المئذنة، وفى التشبيكات الخطية للفظة الجلالة بين اللامين، وفى عبارة (الملك لله) بضريح الإمام الشافعى السيد عبدالعزيز سالم : التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامى فى مجال فنون العمارة والزخرفة مقال ضمن موسوعة بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار – القسم الثانى – الطبعة الأولى– دار الغرب الإسلامى – ١٩٩٢ – ص٤٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدائرى تعد من أروع ما عرف من العقود الإسلامية المفصصة تكويناً ورشاقة وثراء بلغ الغاية فى الابتكار المعمارى والزخرفى بحيث تجاوزت بكل الأبعاد الاستعمال السابق لها واللاحق عليها فى شرق وغرب العالم الإسلامى. فعلى أساس هذا الابتكار المتطور يمضى العقد المفصص فى زيادة الحكم نحو التعقيد فيتألف من فصوص عديدة تنتهى برؤوس مدببة جعلته يبدو فى شكل هندسي مقصوص يختلف كل الاختلاف عن أشكال العقود التى يبدأ عدد فصوصها بثلاثة ثم خمسه ثم تسعه ثم إحدى عشر ثم ثلاثة عشر إلى أن بلغت إحدى وعشرين فصاً.

ورغم روعة التكوين الهندسى التى ظهرت عليه العقود المفصصة فى زيادة الحكم بأنواعها المختلفة إلا أن الفنان فى إطار سعيه نحو تطوير العنصرين المعمارى والزخرفى معاً نجده يزين سنجات فصوص العقود بوريقات نباتية تشبه المنقوشة فى طرته.

وقد اتخذت العقود المفصصة الأندلسية أنموذجاً لنظائرها فى عمارة مصر الإسلامية حيث تظهر أمثلتها في واجهه جامع الأقمر[٩٠] (٥١٩هـ/١١٢١م) وفى نوافذ قبة مشهد السيدة عاتكة[٩١] (٥١٤هـ/٥١٩هـ-١١٢٠ - ١١٣٥م) وفي قبه السيدة رقية [٩٢] (٥٢٧هـ/١١٣٣م) وفى دعامات الواجهة الشمالية الغربية بقبة الإمام الشافعى[٩٣] ٦٠٨هـ/١٢١١م وعلى نوافذ المدرسة الكاملية المطلة على الصحن ٦٢٢هـ/١٢٢٥م .

وفى العمارة المملوكية نجدها في صورة زخرفية على المداخل الجانبية بجامع الظاهر بيبرس [٩٤] (٦٦٥هـ - ٦٦٧هـ/١٢٦٦- ١٢٦٨م) وفي مئذنة الناصر محمد بن قلاوون[٩٥] (٦٩٥هـ/ ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٣م) وفي مئذنة مدرسة سلار وسنجر الجاولي (٧٠٣هـ ١٣٠٣م) [٩٦].

---

(٩٠) لوحة ٢٢.
(٩١) لوحة ٢٣
(٩٢) لوحة ٢٤
(٩٣) لوحة ٢٥
(٩٤) لوحة ٢٦
(٩٥) لوحة ٢٧
(٩٦) لوحة (٢١)، لوحة (٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعا : العقد التوأمى **Arcos Gemelos**

يتألف هذا النوع من العقود من عقدين متجاورين ومتماثلين سواء كانا نصف دائريين أو متجاوزين لنصف الدائرة يرتكزان على عمودى أوسط مركزى(٩٧) .

وقد وصلنا منه أمثلة عديدة فى مختلف عمائر الأندلس منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر بنى نصر ويشاهد أقدم وأروع أمثلة هذا النوع من العقود فى مئذنة عبد الرحمن الناصر(٩٨) وفى زيادات المسجد فى عهد الحكم المستنصر ومن هذا العقد تطورت أشكال العقود الصماء التى لا تؤدى وظيفة معمارية فى المبانى فهى مسدودة غير نافذة فى الجدران ويتخذ العقد الأصم المسطح فى معظم الأحيان شكل مدخل أو باب أو نافذة أو يحدد مكان المحاريب غير المجوفة أو يشير إلى مكان جلوس الحاكم فى صدر القاعات بمجالس القصور الملكية على نحو ما نشهده فى المجلس الفاخر بمدينة الزهراء حيث حرص الخليفة عبد الرحمن الناصر على أن يكون العقد الذى يحدد مكان جلوسه مسطحا وملتصقا بالجدار وبارزا بروزا حقيقيا متحاشيا أن يكون مجوفا حتى لا يختلط بشكل المحراب .

وهكذا نافس العقد التوأمى من حيث الشهرة والانتشار العقد الحدوى وأصبح مثله أكثر التصاقا بالعمارة الأندلسية ومنها انتقل إلى عمارة مصر المملوكية ووصلتنا منه أمثلة عديدة منها النوافذ ذات العقود التوأمية فى قبة فاطمة خاتون ٦٨٣هـ/١٢٨٤م وفى القاعدة المربعة جامع أحمد بن طولون(٩٩) من عهد لاجين ١٢٨٤/١٢٨٥م وفى مئذنة مدرسة سلار وسنجر الجاولى وعلى الواجهه الجنوبية الشرقية بجامع محب الدين أبو الطيب ٩٣٤هـ/٩٣٦هـ/ ١٢٥٧-١٥٢٩م والواجهة الشمالية الغربية لجامع مراد باشا ٩٧٦-٩٧٩ – ١٥٦٨ – ١٥١٧م وعلى الواجهة الجنوبية الشرقية لقبه الشعرانى ٩٧٥هـ – ١٥٦٧م .

ثامنا : العقد ذو اللفائف

لم يقف إبداع مهندس الحكم عند حد استخدام العقد المفصص بأنواعه المختلفة بل استخدام عقد أخر هو فى الحقيقة انعكاس لأنواع العقود متعددة الفصوص المستخدمة فى الزيادة الحكمية ولكنه فى ذات الوقت يضاف إلى

---

(٩٧) لوحة ٢٩
(٩٨) لوحة ٣٠
(٩٩) لوحة ٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سجل الابتكارات التى توصل إليها مهندس الحكم فى تلك الزيادة التى نجد فيها طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية لنوع من العقود يعرف بالعقد المدبب ذو اللفائف[١٠٠] أى الذى تتكون استدارته من لفائف خطافية الشكل ذات حجم واحد تقريباً بحيث تشبه لفائف الكوابيل التى بلغت فى عصر الحكم المستنصر بنفس المسجد غاية التطور وجنحت إلى الزخرفة الخالصة، وقد استخدم هذا النوع من العقود ذو اللفائف على نطاق محدود فى زيادة الحكم بحيث اقتصر استخدامه على الاسطوانيين أو المربعين المجاورين للمحراب شرقاً وغرباً واللذين يحددان نهاية المقصورة من تلك الجهة[١٠١]، ولم يبق من هذين العقدين سوى عقد واحد فقط. وهو العقد المجاور للمحراب من جهته الشرقية[١٠٢].

وهذا النوع من العقود ذات اللفائف بما يؤديه من وظيفه معمارية وزخرفية منفذه بمهارة وفقا لمعايير وأسس دقيقة كانت له أصداءه على ظهور العقود ذات الوسائد أو المخدات التى ربما ظهرت لأول مرة فى مصر الإسلامية على جانبى باب المفتوح بأسوار القاهرة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م[١٠٣] كما ظهر فى عقد المدخل الرئيسى بجامع الظاهر بيبرس ٦٦٥هـ/١٢٦٦ م[١٠٤].

وعلى القاعدة المربعة بمئذنة المنصورة قلاوون نشهد هذا العقد يحيط بالعقود التوأمية ويعلوه العقود المفصصة وحول الطابق العلوى المستديرة نجد أروع نماذج العقود الأندلسية المتقاطعة وكلها تنطق بالتأثيرات الأندلسية الواضحة .

---

(١٠٠) تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن العقد المنكسر أو المدبب يرجع مثل العقد المفصص إلى أصول مشرقية غير أن العقد المدبب لم يكتب له الاستمرار والانتشار الذى حظى به العقد المفصص الذى أصبح منذ زيادة الحكم المستنصر أكثر التصاقا بالعمارة الأندلسية بحيث نافس من حيث الشهرة والانتشار العقد الحدوى (جوميث مورينو : المرجع السابق، ص١١٩)، ولمزيد من التفاصيل عن نشأة العقد المدبب أو المنكسر راجع أحمد فكرى: المرجع السابق ص١٥٤، ١٥٨، عبد الرحيم غالب : المرجع السابق ص٢٧٩

(١٠١) لوحة (٣١).

(١٠٢) جوميث مورينو : المرجع السابق ص١١٩

(١٠٣) لوحة (٣٢).

(١٠٤) لوحة (٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تاسعاً: أثر قباب جامع قرطبة على نشأة القباب المقرنصه :

ولم تقتصر أهمية قباب قرطبة على فكرة الضلوع المتقاطعة التى مارست تأثيرها الواضح على نظام التقبيب داخل وخارج بلاد الأندلس ولكن أيضا فى أنها بشرت بظهور حلقة جديدة من سلسلة تطور القباب المفصصة التى نراها فى الفراغ الأوسط المثمن الذى يمثل خوذة القبة[١٠٥]، وتتلاقى عنده ضلوعها الثمانية فهذه القباب المفصصة وأن كانت قد ظهرت بكثرة فى العمائر الرومانية والبيزنطية إلا أن عرفاه البناء الأندلسيون حوروا عناصرها إلى حد أن القباب الإسلامية المفصصة اتسمت بذاتية ابعدتها عن الأمثلة الرومانية والبيزنطية فمن هذه القبوة المفصصة استلهم الفنانون المغاربة والأندلسيون فكرة قبابهم المفصصة التى تمثلت أقدم نماذجها فى القبة التى تتقدم محراب جامع القيروان (٢٢١-٢٢٢هـ/٨٣٦-٨٣٧م) ثم فى القباب الأربعة بزيادة الحكم بجامع قرطبة وأن كانت هنا تبدو مستقلة عن الغطاء الذى يكسو هيكل الضلوع على عكس قبة المحراب بالقيروان المرتبطة تماما بفصوص الخوذة الكروية، وفى عصر الطوائف ظهرت القباب المفصصة فى قبة المحراب بمصلى قصر الجعفرية بسرقسطة (٤٤١-٤٧٥هـ/١٠٤٩-١٠٨٢م) ثم ظهرت فى عصر المرابطين بجامع تلمسان (٥٣٠هـ/ ١١٣٥) [١٠٦] وقباب جامع القرويين بفاس (٥٣٠هـ/١١٣٥م) وقبة البارودیين بمراكش(٥١٤-٥٢٥هـ/١١٢٠-١١٣١م) [١٠٧]. كما انتشر استخدامها فى عمائر الموحدين فنجدها فى مئذنة جامع القصبة بمراكش (٥٩١هـ/١١٩٥م) وفى بهو البرتقال بمسجد

---

(١٠٥) لوحة (٣٤).

(١٠٦) مر بناء جامع القرويين بثلاث مراحل الأولى عند تأسيسه عام ٢٤٥هـ/٨٥٩ م والثانية فى عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م. أما الثالثة فتمت فى عهد المرابطين، وبدأت فى عام ٥٣٠هـ/١١٣٥ وانتهت عام ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ وفيها أقيمت خمس قباب من المقرنصات والضلوع البارزة (توريس بلباس: الفن المرابطى والموحدى. ترجمة سيد غازى، ص٥٢، السيد عبد العزيز سالم : مسجد القرويين بفاس، كتاب الشعب عدد ٧٨ جـ٢ ١٩٦٠ ص١٧٩، ١٨٢

(١٠٧) تعد هذه القبة من أروع ما أنتجه الفن المرابطى وهى تقع بالقرب من الجامع الذى شيده على بن يوسف بمراكش ثم هدمها الموحدون عند استيلائهم على المدينة ولعلها ترجع إلى الفترة من عام ٥١٤/١١٢٠ إلى عام ٥٢٥هـ/ ١١٣١م وربما قصد بها أن تكون مدفنا لأحدى الشخصيات الكبيرة ثم تحولت إلى ميضأه (لمزيد من التفاصيل: راجع توريس بلباس : المرجع السابق، ص٤٦-٤٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموحدين باشبيلية (٥٦٧هـ/١١٧١م) . ومن عصر بنى نصر فى الأندلس وصلنا ثلاثة نماذج من القباب المفصصة اثنان منهما يغطيان باب السلاح بقصبة الحمراء بغرناطة. والثالثة تتوج برج الأسنة الواقع إلى جنوب بهو الأسود.

ومن بلاد المغرب والأندلس انتقلت إلى مصر المملوكية فكرة التغطية بقباب وقبوات وأسقف مقربصه أو ذات بطون مقرنصة[١٠٨] كما يسميها أهل المغرب فمن نفس طابع القبوات التى ظهرت بصور زخرفية فى الفراغ الأوسط المثمن الذى يمثل خوذه القباب بجامع قرطبة استلهم المعمار المملوكى فكرة القبوات المقرنصة والمثل لذلك ما نشهده فى سقف الأيوان الجنوبى بمدرسة برقوق بالنحاسين[١٠٩].

وفى مدخل جامع بشتاك بدرب الجماميز[١١٠] ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م ومدخل جامع الماس الحاجب بمنطقة الحلمية ٧٣٠هـ/١٣٣٠م وفى قبوه ودركاه جامع المؤيد شيخ[١١١] والجاى اليوسفى التى تتميز بخطوطها الهندسية المتشعبه وتترك فى مركزها فراغ تملأه مقرنصات أختفى ورائها الشكل المصلب وهى على هذا النحو تميل إلى التخطيط المصلب المتقاطع بصورة مطابقة للأصلى الطليطلى لقباب مسجد الباب المردوم المنقولة عن الأصل القرطبى لقباب الجامع ولكن بصورة زخرفة وهناك من ينسب الفضل فى ابتكار هذا الأسلوب فى التغطية إلى بلاد الشام على أساس أنها ظهرت فى سوريا إلا أن هذا الرأى لا يقوم على أساس محقق حيث أفرد أستاذى المرحوم الدكتور عبد العزيز سالم دراسات عديدة ناقش فيها هذا الرأى

(١٠٨) لمزيد من التفاصيل عن القباب المفصصة وأثر قباب القيروان فى نشأتها وقباب الحكم بقرطبة فى تطورها راجع :

Torres Balbas : Las Bovedas Agallondas de la Al Hambra , Al andulas , vol , ii, 1934 , pp.373-375

عن القباب المقرنصة راجع : محمد الكحلاوى : القباب المقرنصة فى المغرب الأقصى فى عصر المرابطين مجلة التاريخ والمستقبل – كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٣٣

(١٠٩) لوحة (٣٥).

(١١٠) لوحة (٣٦).

(١١١) لوحة (٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودرس هذه القباب دراسة وافيه أوصلته إلى أن الأصول الأولى لتلك القباب ترجع إلى بلاد المغرب والأندلس(١١٢).

عاشراً: ظاهرة تناوب الألوان فى نموذجا قرطبه وأثرها على عمارة مصر الإسلامية:

بقدر اهتمام البناه فى جامع قرطبة بقوة العقود الحدوية اهتموا أيضا بتحليه هذا النوع من العقود بحليات وتنميقات بعضها نابع من صميم مواد البناء وبعضها الأخر نابع من زخارف وسنجات تلك العقود .

ويهمنا النوع الأول الذى يتجلى فيه تأكيد الأحساس بجمال تلك العقود من خلال تناوب اللونين الأحمر وهولون قوالب الآجر مع اللون الأصفر الباهت وهو لون الكتل الحجرية، وقد تولد من هذا التناوب بين هاتين المادتين الحجر والآجر حلية بسيطة فى فكرتها عظيمة فى قيمتها الجمالية نشهدها لأول مرة فى عمائر الأندلس بعقود جامع قرطبة منذ عهد عبد الرحمن الداخل(١١٣) وظلت مستخدمه وتتابع تطورها في أشكال وصور متعددة بمعظم عمائر الأندلس حتى نهاية عصر بنى نصر، وتجدر الإشارة إلى أن تناوب الألوان على هذا النحو لم يكن ابتكارا إسلاميا أو أندلسيا بل ظهر فى الفنيين الرومانى والبيزنطى كما عرفه العرب قبل الإسلام فى عمائرهم وانتقل إلى بعض العمائر الإسلامية المشرقية فى أوائل القرن ٢هـ/٨م مثل بعض عقود جامع حماه وقصر الحلابات من العصر الأموى

وإذا كانت فكرة التناوب بين الألوان قد وفدت من المشرق غير أن الطريقة البنائية التى ظهرت فى عقود قرطبة وامتدت إلى أبوابه وجدرانه الخارجية تتميز بطابع محلى عرفته العمارة الرومانية فى شبه جزيرة ايبريا ممثلا فى عقود جسر المياه بمارده، ويختلف إلى حداً كبير عن طابع العمارة المشرقية التى أشرت إليها، ويتجلى هذا الاختلاف فى أن التناوب بين اللونين الأحمر وهو لون قوالب الآجر مع اللون الأصفر وهو لون الكتل الحجرية قد تولد من مادتين معماريتين مختلفتين عكس الإبنيه المشرقية

(١١٢) السيد عبد العزيز سالم : بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الإسلامية – مجلة المجلة – عدد ١٢ القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٩٧-٩٩

(١١٣) لوحة (٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التى يعتمد فيها تناوب الألوان على استخدام مادة الحجر كمادة زخرفية[١١٤] والمعروفة باسم الحجر المشهر وهو نوع من الحجر الفص النحيت تتألف مداميكه من اللون الأبيض والأحمر وتعرف طريقة الزخرفة المعمارية به بين الآثاريين باسم الأبلق غير أن لفظه المشهر تعد اعم وأشمل فى معناها من لفظه الأبلق التى تعنى لونين أبيض وأسود أبيض وأحمر فقط سوءا كان ذلك فى الحجر أو الرخام أو الآجر[١١٥].

ومن خلال تتبع أصول هذا العنصر المعمارى الزخرفى أى المشهر وبداية ظهوره فى عقود وواجهات زيادات جامع قرطبة نجد أنه لم يستخدم في آثر من الآثار قبل الإسلام وبعده من حيث التنوع والكثرة مثلما استخدام أولا فى عقود جامع قرطبة ثم في مختلف عقود وواجهات عمائر أسبانيا الإسلامية منذ عصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بنى بل واستمر فى الفن المدجن وتأثرت به العمارة المسيحية الأوربية فى إيطاليا والرومانسيكية فى أسبانيا وجنوب فرنسا .

وإذا انتقلنا إلى مصر الإسلامية نجد هذا النوع من الزخرفة قد انتقل إليها من الأندلس حيث استخدام تناوب الألوان كحليه معمارية فى عمارة مصر المملوكية منذ عهد السلطان بيبرس البندقدارى فى أوائل النصف الثانى من القرن ٧هـ/ ١٣م وقد تجلى ذلك في المدخل الجنوبى الغربى لجامعة بحى الظاهر ٦٦٥هـ/٦٦٧هـ، ١٢٦٦/١٢٦٩م وفى مدرسة المنصور قلاوون ٦٨٣هـ/١٢٨٤م وعلى واجهه مدرسة الناصر محمد بن قلاوون[١١٦] ٦٩٥هـ/ ٧٠٣هـ وفي مسجده بالقلعة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م ومدرسة برقوق[١١٧] إلى غير ذلك من منشآت المماليك بمدينة القاهرة .

١١- ظاهرة تناوب سنجات العقود الملونة مع السنجات المنقوشة بالزخارف :

إلى جانب استخدم الألوان الطبيعية فى زخرفة العقود ابتكر الفنان القرطبى فكرة جديدة في تزين العقود تعتمد على تناوب السنجات الملونة بألوان

---

(١١٤) جوميث مورينو : الفن الإسلامى فى أسبانيا ترجمة – لطفى عبد البديع و، عبد العزيز سالم : مراجعة جمال محرز – الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٨ ، ص١٨

(١١٥) سامى عبد الحليم : الحجر المشهر حليه معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٨٤ ص١٦- ١٧

(١١٦) لوحة (٣٩).

(١١٧) لوحة (٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طبيعية تمثل لون الحجر أو الآجر مع سنجات أخرى منقوشة بالزخارف النباتية وتعتبر هذه الطريقة من أكثر الطرق تعبيرا عن فنون الزخرفة القائمة على فكرة التضاد وما تعكسه من تأثير جمالى(١١٨) .

ومن خلال تتبعى لهذا الأسلوب اتضح أنه ربما كان مطبقا فى شبه جزيرة أيبريا قبل العصر الإسلامى وعلى نماذج قليلة فى العمارة القوطية وأنه كان مقصورا على الزخارف الهندسية المحفورة على الحجر أو الجص فقط. ولكن الجديد هنا هو الاستعانة بالآجر في الحصول على تشكيلات نباتية يصعب تنفيذها على الحجر والجص باستخدام هذه الطريقة المبتكرة .

ومن هنا يمكن القول بأنه إذا كان للفن الرومانى أو القوطى تأثيره على الفن الإسلامى فى الأندلس من حيث أن شبه جزيرة ايبريا كانت مدرسة لهذين الفنيين فإن استخدام الآجر المنقوش بالزخارف النباتية على هذا النحو يمثل ابتكاراً اختص به فنان جامع قرطبة حيث نجد أروع وأقدم الأمثلة التى استخدام فيها هذا الأسلوب المتطور على عقود مداخل ونوافذ واجهات الجامع والتى تعتبر من أكثر الأمثلة تعبيراً عن فن النقش فى عصر الخلافة وقد انتقلت هذه الظاهرة من الأندلس إلى مصر بشكل واضح في عصر دولة المماليك الجراكسة واتخذت فى هذا العصر مظهرا رائعا نلمسه فى عدد من عمائر هذا العصر منها جامع الأمير قجماس الاسحاقى بالدرب الأحمر وجامع ومدرسة السلطان الأشرف قنصوة الغورى فى الغورية ومدرسة الأشرف قايتباى بصحراء المماليك .

وعقود الصفة الجنوبية الغربية لمدرسة المنصور قلاوون وعقد أيوان القبله بجامع محب الدين أبو الطيب (٩٣٤-٩٣٦هـ/١٥٢٧ -١٥٢٩) والواجهة الشمالية الشرقية لجامع عبد اللطيف القرافى ٩٩٠هـ /١٨٥٢ وواجهه جامع الجوهرى المطله على الساحة المكشوفة التى تتقدم الجامع ١٢٦١ - ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٥ -١٨٤٨ م ومداميك جدران سبيل سليمان جاويش من الداخل ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م وفى الواجهه الجنوبية لجامع تعزى بردى ١٠٤٤هـ/١٦٣٤ م ومداخل منزل وقف الملا ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م.

ظاهرة زراعة صحون المساجد بالأشجار:

شاع فى معظم صحون عمائر الأندلس لاسيما صحون المساجد منذ عصر الإمارة زراعتها بالأشجار وخاصة أشجار البرتقال والنارنج ولذلك كان يطلق عليها اسم patois de los naranjs وأقدم مثل لهذه الظاهرة نجدها

(١١٨) لوحة (٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فى صحن جامع قرطبة القديم[١١٩] من عهد عبد الرحمن الداخل الذى طلب من صاحب الصلاة بالجامع عبدالله بن صعصعه بن سلام زراعة صحن الجامع بالأشجار عملا بمذهب الإمام الأوزعى الذى أجاز زراعة صحون المساجد ومنذ ذلك الحين أصبح تقليد متبعا فى تخطيط صحون المساجد الأندلسية على نحو ما كان موجودا فى صحن جامع المرية وجامع وادى آش وجامع عمر بن عدبس باشبيلية وجامع القصبه بنفس المدينة وجامع مدينة مالقة وجامع البيازين بمدينة غرناطة .

وقد انتقل هذا التقليد إلى بعض عمائر مصر لاسيما فى العصر الفاطمى إذ كان صحن جامع العطارين الذى شيده بدر الجمالى بمدينة الإسكندرية مزروعا بأشجار النخيل .

(١١٩) لوحة (٤٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

١-الإدريسي (الشريف محمد بن عبد العزيز):وصف المسجد الجامع بقرطبة من كتاب نزهة المشتاق. نشر الفريد ديسيه لامار مع الترجمة الفرنسية . الجزائر ١٩٤٩م.

.....: صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. نشر المكتبة الثقافية الدينية ببور سعيد بدون تاريخ

٢- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم): صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال ،طبعة القاهرة، ١٩٣٧م.

٣- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف القرطبي): قطعة خاصة بعهد الحكم المستنصر، نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجي، بيروت ١٩٨٣م.

٤- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٢م ،

٥-.....: اللمحة البدرية في الدولة النصرية . بيروت ١٩٧٨م.

٦- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك محمد بن أحمد الباجي): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، طبعة بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م.

٧- ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. نشر الأستاذان ليفي بروفنسال وج.س. كولان . الطبعة الثالثة . بيروت، دار صادر ١٩٨٣

٨- ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسي): قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، نشر وتحقيق د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول ج١ نوفمبر١٩٥٥

٩- المقري (أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب . تحقيق د. إحسان عباس بيروت، ١٩٦٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : المراجع العربية الحديثة والمعربة

١- أحمد (سامي عبد الحليم): الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر . ١٩٨٤م.

٢- أحمد (عبد الرازق) :العمارة الإسلامية في العصرين العباسي والفاطمي. دار القاهرة للكتاب ٢٠٠٢م.

٣- الباشا (حسن):أثر عمارة عثمان بن عفان في المسجد الحرام في تخطيط المساجد وفي العمارة الإسلامية (ضمن دراسات في تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الثالث الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين). جـ ٢ الرياض ١٩٨٩م

٤- بالباس (ليوبولد توريس) :الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، دار المعارف بمصر ١٩٧١

٦-الحداد (محمد حمزة إسماعيل):المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.٢٠٠٤م.

٧- زكي (عبد الرحمن): القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩-١٨١٥م) من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ، ١٩٦٦

٨- سالم (.السيد عبد العزيز) : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي. مؤسسة شباب الجامعة. إسكندرية ١٩٧٠م.

٩-.....: المغرب الكبير، الجزء الثاني، العصر الاسلامى الإسكندرية ١٩٦٦م.

١٠-.....: بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية. مجلة المجلة. سبتمبر ١٩٥٧م.

١١-.....: التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة(مقال ضمن موسوعة بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار.) القسم الثاني. الطبعة الأولى. دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢

١٢-.....: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها. عالم الفكر. العدد الأول. المجلد الثامن. إبريل، مايو، يونيو، الكويت ١٩٧٧م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣-.....، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
١٤-.....، المساجد والقصور في الأندلس، سلسلة أقرأ، عدد ١٩٥، دار المعارف ١٩٥٨م
١٥- شافعي (فريد): العمارة العربية في مصر في عصر الولاة. المجلد الأول. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. ١٩٧٠م
١٦- عبد الحميد (سعد زغلول): العمارة والفنون في دولة الإسلام. منشأة المعارف. إسكندرية ١٩٨٦م
١٧- عثمان (محمد عبد الستار): الإعلان بأحكام البنيان. لابن الرامي. دراسة أثرية معمارية. نشر دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية ١٩٨٩م
١٨- علام (نعمت إسماعيل):فنون الشرق الأوسط الطبعة السادسة . دار المعارف ١٩٨٩م
١٩- غالب (عبد الرحيم) : موسوعة العمارة الإسلامية . الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨٨م.
٢٠-فكري (أحمد) : المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها. جـ ١، نشر دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
٢١-.....: مساجد القاهرة ومدارسها.(العصر الفاطمي)، دار المعارف، القاهرة . ١٩٦٥م.
٢٢- الكحلاوي (محمد محمد مرسي): مساجد المغرب والأندلس في عصر الموحدين، القاهرة ١٩٩
٢٦- مرزوق (محمد عبد العزيز): الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.
٢٣- مورينو(جوميث) : الفن الإسلامي في إسبانيا. ترجمة د. لطفي عبد البديع، د. السيد عبد العزيز سالم ومراجعة د.جمال محمد محرز. نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٨م

ثالثا : الرسائل غير المنشورة

١- كمال عناني إسماعيل: العمارة الإسلامية في طليطلة في العصر الإسلامي. مخطوط رسالة ماجستير إسكندرية ١٩٨٩م .
٢- حنان عبد الفتاح مطاوع : الزخارف المحفورة على الرخام والحجر في عصر الدولة الأموية بالأندلس وعصر الطوائف . مخطوط رسالة ماجستير . إسكندرية ١٩٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : المراجع الأوروبية الحديثة

1- Camps y Cazorla (E) : Modulos Proporciones y composicion en la Arquitectura Califal Cordobesa , Madrid , 1953

2- De Morales (Ambrosio): Las antiguidades de las Ciudades de Espana, Madrid 1792

3- Ewert (Chirstian): Die Moschee am Bab AL-Mardum in Toledo Elmi Kaopie Der Moschee.Vou cordoba heidbery.1944

4- Godard (A):voutes iraniennes en Athare e Iran , iv , 1949

5- Golvin (Lucien): Essi sur L'Architecture Religieuse Musulman , tome , 4 , Editions Klincksieck , Paris , 1979

6- Grube (E.J): The World of Islam , London, 1967

7- -Jimenez (Felix Hernandez): La Techumbre de La Gran Mezquita de cordoba en Archivo Espanol de Arte y arqueologia , t , xii , 1928

8- …….: El-Alminbar movil del siglo x de la Mezquita de Cordoba , Alandalus , vol , xxiv , 1959

9- Jimenez (ocana): la inscripcion Fundacional de la Mezquita de Bib Mardom , Al Andulas , v , xxv , 1949

10- Lambert (Elie): Les Mosquees de Type andalou en Espange et en Afrique du Nord , Al -Andalaus Vol, XIV , 1944

11- ……: Les Coupoles des Grandes Mosquees de Tunisie et de L'Espange au 1xe et xe Siecles , Hesperis , t , xxii. Fasc , 2 , 1936

12- ……:L' Architecture Musulmane du Xe Siecle a Cordoue et a Tolede , Gazette de Beaux arts , t , XII. 1925

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13- ……: Les voutes nervees Hispano Musulmanes du XI e, siecle et leur influence possible sur l'art Chretien Hesperis , 1928
14- Maldonado (Basilio Pavon): La Mazquita Mayor de Tudela. Pamplona. 1945
15- ……..: Memoria de la excavacions de la Mezquita de Medinat Al-Zahra , Madrid , 1966
16- .Marçais (G): Manuel d'art Musulman , Paris , 1926
17- Monnert De Villard (u) : Le Chiese della Mesopotamia , Roma , 1940
18- Porres (Julio): La Mezquita Toledana de Solorejco LLamado de Los Tornerias ,Alqntara , Revista de Estudioas Arabes , Vol , III , 1982
19- Salem (AL-Sayyid Abdel Aziz): cronologia de la Mezquita Mayor de Cordoba le vantada por Abd Al Rahman I , Alandulas , vol , xix , 1954
20- .Sedano (M del Pilar Sanchez): inventrio de Arquitectura a Musulmana en la provencia de Almeria , Boletin del Instituo de Estudios ,Almerienses, (N.5 Almeria , 1985
21- -.Terrasse (Henri): l'art Hispano Mauresque des origines au xiii . e siècle , paris , 1932
22- ……..: Les Influences ifriqriyennes sur l'art de l'Espange musulmane aux, x, et, xi, siècles en Revue Tunisienne , Tunez , 1933
23- Torres.Balbas (Leopoldo): Arte Hispano Musulmana hasta La Caida del Califato de Cordoba,en Historia de Espana,.dirigida porDon Menendez Pidal ,T, V, Madrid, 1957.
24- ……: Bovedas Romanas sobre arcos de resalto en A.E. Arqr , xix , 1946.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

25- Ars Hispaniae, arte Almohad,arte Nasri. , art Mudejar , Madrid, 1949.
26- …….: Las Bovedas Agallondas de la Al Hambra , Al andulas , vol , ii , 1934.
27- …….: Los Motivos ornamentales de la Al- Jaferia, Alandalus , v , ix , 1994
28- Viollet (H): Description du Palais d' Al-Moutassim Fils d, Harun aL-Raschid a Samara , en memoires des l'Academie des inscriptions , iii , Paris , 1913

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com